المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي
مكة المكرمة

سلسلة الرسائل العلمية الموصى بطبعها
" ٢٠ "

نهاية الوصول إلى علم الأصول

المعروف ببديع النظام الجامع بين كتاب البزدوي والاحكام

جمع وتأليف الشيخ أحمد بن علي ابن تغلب بن الساعاتي
المدرس للحنفية بالمستنصرية أثابه الله تعالى
(٦٥١ ـ ٦٩٤ هـ)

دراسة وتحقيق

إعداد الدكتور
سعد بن غرير بن مهدي السلمي

﴿ الجـــزء الأول ﴾

١٤١٨هـ

ح جامعة أم القرى ، ١٤١٨ هـ .
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر .
الساعاتي ، أحمد بن علي
نهاية الوصول إلى علم الأصول المعروف ببديع النظام الجامع بين كتابي البزدوي والإحكام : دراسة وتحقيق / تحقيق سعد بن غرير بن مهدي السلمي ـ مكة المكرمة
٨٨٠ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم
ردمك : ٧ ـ ٢٤٧ ـ ٠٣ ـ ٩٩٦٠
١ ـ أصول الفقه أ ـ السلمي ، سعد بن غرير بن مهدي (محقق)
ب ـ العنوان
ديوي ٢٥١ ١٤١٤ / ١٨
رقم الايداع : ١٤١٤ / ١٨
ردمك :٧ ـ ٢٤٧ ـ ٠٣ ـ ٩٩٦٠

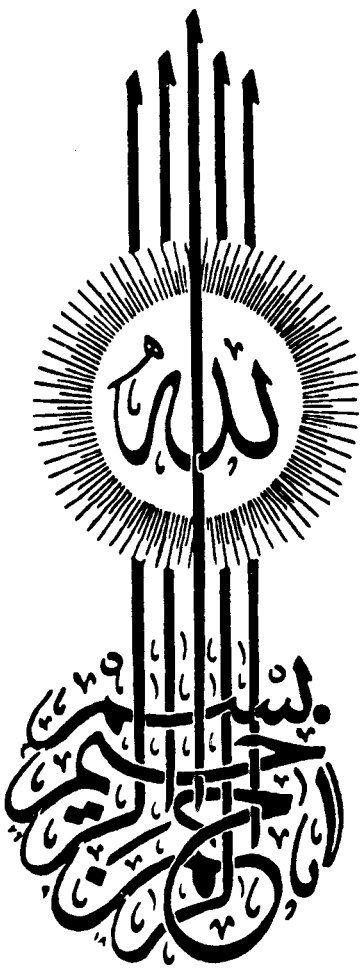
بسم الله الرحمن الرحيم

أصل هذا العمل رسالة دكتوراه بعنوان (نهاية الوصول إلى علم الأصول المعروف ببديع النظام الجامع بين كتابي البزدوي والإحكام لمظفر الدين أحمد بن علي الساعاتي المتوفى سنة ٦٩٤ هـ)

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ـ مكة المكرمة : قسم الشريعة

أوصت لجنة المناقشة بطبعها ..

وبالله التوفيق

شكر وتقدير

إلهي لك الحمد الذي أنت أهله على نعم منها الهداية للحمد
صحيحا خلقت الجسم مني مسلما ولطفك بي مازال مذ كنت في المهد

سبحانك لا إله إلا أنت ، أنت الميسر لكل عسير ، والمعين على اتمام عظائم الأمور بيدك الخير ، وأنت على كل شيء قدير ، لا مانع لما أعطيت ، ولا معطي لما منعت ، ولا راد لما قضيت .

أحمدك اللهم حمدا يليق بجلالك ، وأشكرك شكر عبد معترف بفضلك واحسانك ، أهل الثنا والمجد ، أحق ماقال العبد ، وكلنا لك عبد ، لا إله إلا أنت ، العليم القدير الذي شملت قدرته كل مخلوق ، وجرت مشيئته في خلقه بتصاريف الأمور ، قدر مقادير الخلائق وآجالهم ، وكتب آثارهم وأعمالهم ، وخلق الموت والحياة ليبلوهم أيهم أحسن عملا .

أحمده واستعينه واستهديه واستغفره وأتوب اليه وأعتصم به وأتوكل عليه فهو الرب المحمود ، والاله المعبود .

وأشكره على مايسر وأعان من اتمام هذا العمل الذي أرجو أن يكون خالصا لوجهه الكريم . وأن ينفع به طلاب العلم والمهتمين بهذا الفن من العلوم إنه جواد كريم ملك برٌّ رؤوف رحيم . ومن تمام شكر الله تعالى الاعتراف بالفضل والجميل لأهله ، وهم كثيرون ، وعلى رأسهم أستاذي الجليل فضيلة الدكتور محمود عبدالدايم ، المشرف على هذه الرسالة من أولها إلى نهايتها ، فله مني جزيل الشكر ووافر التقدير على ما بذل من جهد ووقت ونصح وارشاد ، فقد أعطاني من وقته الخاص الكثير ومنحني من علمه الغزير ، ولن أستطيع مكافأته على مابذل ، ولكن أدعو له لِقَوْلِ الرسول صلى الله عليه وسلم : « من أسدى

إليكم معروفا فكافئوه ، فإن لم تستطيعوا فادعوا له » . فجزاه الله عني كل خير ومثوبه ، وأسكنه فسيح جناته .

كما أتقدم بوافر الشكر وعظيم الامتنان إلى منسوبي جامعتي الفتية ـ جامعة أم القرى ـ وعلى رأسهم رئيسها الدكتور سهيل بن حسن قاضي وسعادة عميد كلية الشريعة ورئيس قسم الدراسات العليا الشرعية ، ورئيس مركز البحث العلمي بالجامعة ، على ما بذلوه من جهد مستمر ، وهيئوا من وسائل وتسهيلات ، يسرت الطريق لطلاب العلم وهيأت لهم الجو المناسب لخوض غماره .

كما أشكر كل من ساعدني برأي أو مشورة أو اهدى إليّ كتابا أو أعارَه ، فجزى الله الجميع عني أحسن الجزاء .

المقدمـــة :

الحمد لله المبدي المعيد ، فالق الحب والنوى ، مخرج الحي من الميت ، ومخرج الميت من الحي ، ومحيي الأرض بعد موتها واليه المصير .

والصلاة والسلام على نبيه الأمين ، الذي قَعَّدَ القواعد وأصل الأصول ، محمد بن عبدالله خاتم الأنبياء والمرسلين ، الداعي إلى الله بإذنه وسراجا منيرا ، وعلى آله وأصحابه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين .

أما بعد ؛ فإن علم أصول الفقه من أجل العلوم وأرفعها قدرا ، ولست في حاجة إلى بيان مكانة هذا العلم بين علوم الشريعة ، فهو أشهر من أن يشاد به في كلمات ، وقد عرف أسلافنا قدره ، وأدركوا أهميته وخطره منذ فجر الإسلام ، فأقبلوا على تدارسه وتدريسه ، وتوضيح معالمه وتقعيد قواعده .

وكان أول من قعد قواعده ووضع أسسه الأولى الامام الشافعي رحمه الله ورضي عنه . قال الفخر الرازي في مناقبه : « كانوا [1] قبل الامام الشافعي يتكلون في مسائل أصول الفقه ويستدلون ويعترضون ولكن ما كان لهم قانون كلي مرجوع اليه في معرفة دلائل الشريعة ، وفي كيفية معارضاتها ، وترجيحاتها . فاستنبط الشافعي علم أصول الفقه ، ووضع للخلق قانونا كليا يرجع اليه في معرفة مراتب أدلة الشرع . فثبت أن نسبة الشافعي إلى علم الشرع كنسبة ارسطاطاليس إلى علم العقل » .

وقال الامام أحمد بن حنبل : ماعرفت ناسخ الحديث ومنسوخه حتى جالست الشافعي . وقال أبو عبيد القاسم بن سلاّم : مارأيت رجلا قط أكمل من الشافعي [2] .

---

(١) ص ٥٧ .

(٢) انظر وفيات الأعيان ٤ / ١٦٣ .

ولما تحددت معالم هذا الفن وعرف العلماء أهميته بين علوم الشريعة ، اقبلوا على دراسته وتحصيله . وما هي إلا فترة حتى اتضحت معالمه ، وألفت فيه المؤلفات وأصبح علماً مستقلا تشد إلى علمائه الرحال ، وتضرب أكباد الابل في سبيل الوصول إلى حملته ، واخذه عنهم .

وقد استقل كل مذهب من المذاهب الفقهية بأصول ، وضعها أصحابه لتكون بمثابة القواعد الكلية للمذهب ، تندرج تحتها الفروع والجزئيات . وتعرف بها مراتب أدلة الشرع ، وكيفية التعامل معها والاستنباط منها .

سار على ذلك علماء المذاهب الثلاثة ـ الشافعية ، والمالكية ، والحنابلة . أما علماء الحنفية ، فقد سلكوا طريقا أخرى ، لتأصيل أصول الفقه حيث استنبطوا الأصول من الفروع التي تكلم فيها أئمتهم ، فبنوا الأصول على الفروع ولذلك جاءت أصولهم مختلفة عن أصول أصحاب المذاهب الأخرى في الكيفية والمضمون والترتيب . فصار هنالك مدرستان كبيرتان لأصول الفقه : مدرسة الشافعية ، ومدرسة الحنفية . أو مدرسة المتكلمين ، ومدرسة الحنفية .

ولقد جرت محاولات عديدة من علماء المدرستين في مختلف العصور للجمع بين الطريقتين ، وتقريب الوجهتين ، وألف في ذلك المولفات ، ومنها :

١ ـ التسهيلات الالهية في أصول الحنفية والشافعية . للشيخ أحمد بن محمد درويش . من علماء القرن الرابع الهجري .

٢ ـ بديع النظام الجامع بين كتابي البزودي والأحكام لمظفر الدين بن الساعاتي . من علماء القرن السابع الهجري . وهو هذا الكتاب الذي بين أيدينا .

٣ ـ كتاب التحرير في أصول الفقه الجامع بين اصطلاحي الحنفية والشافعية . لابن همام الدين الحنفي . من علماء القرن التاسع .

٤ ـ وشرحه : تيسير التحرير للعلامة محمد أمين المعروف بأمير بادشاه الحنفي .

٥ ـ وفصول البدايع في أصول الشرائع . لشمس الدين محمد بن حمزة بن محمد الفناري . المتوفى سنة ٨٣٤هـ وغير ذلك .

ولما حصلت على درجة التخصص الأولى ، وكان موضوعها في الفقه المقارن . عزمت على أن يكون موضوع الدكتوراة في فن آخر ، لتزداد خبرتي ، ويتسع اطلاعي . وكان ميلي إلى أصول الفقه قديماً ، فعقدت العزم على أن يكون موضوع رسالة الدكتوراة في أصول الفقه .

وأخذت أبحث عن موضوع يلائم قدر تلك الرسالة ، وهذه فترة عصيبة في حياة الباحث ، تلك فترة الاختيار يعرفها من عايشها وعاش أدوارها ، فكم من موضوع بذلت فيه الوقت الطويل ، والجهد الكبير وفي النهاية يتضح أنه لايصلح ، أو قد بحث ، أو طويل لايمكن الالمام بجوانبه في المدة المحددة للرسالة ، أو قصير لا يستحق .

وقد عثرت على كتاب نفيس يجمع بين هاتين الطريقتين لايزال مخطوطاً ، ألا وهو كتاب نهاية الوصول الى علم الأصول المعروف ببديع النظام الجامع بين كتاب الزودي الحنفي ، وكتاب الإحكام في أصول الأحكام للآمدي الشافعي وبعد تصفحه وسؤال أهل الفن عنه علمت أنه من أهم تلك الكتب التي ألفت للجمع بين الطريقتين . ومؤلفه ابن الساعاتي أشهر من علم وقد رأيت أن كثيراً من مؤلفي أصول الفقه الذين جاؤا بعده يأخذون عنه وينسبون إليه كثيراً ، وقد خطرت لي فكرة تحقيق هذا الكتاب وإخراجه ليرى النور فيستفيد منه الباحثون وأصحاب هذا الفن . فأخذت أبحث عن نسخ هذا المخطوط ، في فهارس المكتبات العالمية ، فبهرتني كثرتها وتوزعها في بلاد الاسلام وغيرها .

فأخذت إحدى نسخ هذا الكتاب وقرأتها من ألفها إلى يائها ، وقد اعجبت به كثيرا . ولا أخفي انني شعرت بصعوبته لأن الكتاب مختصر مضغوط ويجمع

بين طريقتين مختلفتين من أساسهما ، والمؤلف رحمه الله حنفي ، ويميل كثيرا إلى مذهب أئمته ، بل قد اعتمده وجعله أصل الباب كما ذكر في مقدمة الكتاب ، ولذلك حشد في مختصره هذا أمثلة كثيرة جدا من فروع الحنفية ، وكان يتبع طريقة الجدل في النقاش ويميل إلى الاستدلالات العقلية والمنطقية وقد عممها حتى شملت جميع أبواب كتابه .

ولكنني أقدمت عليه ـ بعد الاستخارة ـ مستعينا بالله ، ومتوكلا عليه ، ولما أقرَّ ، شمرت عن ساعد الجد ، وأخذت أبحث عن نسخ ذلك المخطوط ، وقد بهرتني كثرتها كما ذكرت ، فاضطررت إلى القيام برحلات لتجميع أكبر عدد منها ، فسافرت إلى مصر وتركيا وقد استطعت أن أحصل على معظم نسخ هذا المخطوط ، حيث بلغ عدد ما اجتمع لدي (١٩) نسخة معظمها مصور على ورق ومكبر ، ومن بين هذه النسخ : نسخة المصنف بخطه ، ونسخة أخته المنقولة عن نسخته والمقابلة عليها من أولها إلى نهايتها كما يتضح ذلك من المقابلات الموجودة في الهامش بعد كل عدد من الصفحات . ونسخة أخرى منقولة عن نسخة أخت المصنف ، ونسخة من شستربتي ، وأخرى من جامعة برنستن وهما من النسخ النادرة .

وقد حمدت الله على اجتماع هذه النسخ لدي وتأكدت من أهمية هذا المخطوط لكثرة من اهتم به في مختلف العصور الماضية .

وبعد القراءة والتمحيص والمقارنة اخترت من بين هذه النسخ أربعاً ليتم التحقيق عليها ، منها :

نسخة المصنف ، وقد اعتبرتها الأم لما عداها ، واكتفيت بتسميتها « الأصل»

ونسخة أخت المصنف ، ورمزت لها بحرف « أ » .

ونسخة جامعة برنستن ، وسميتها « ب » .

ونسخة ولي الدين جار الله ، وسميتها « جـ » .

وقد قسمت العمل في هذا الكتاب إلى قسمين :

قسم الدراسة : ويشتمل على بابين :

الباب الأول : في التعريف بالمؤلف ، مولده ـ نسبه ـ نشأته وتعليمه ـ شيوخه ـ تلاميذه ـ وفاته . وقد جعلت ذلك في فصلين الفصل الأول : في التعرف على ابن الساعاتي . والثاني : في معرفة شيوخه وتلاميذه وآثاره العلمية .

والباب الثاني : في بديع النظام ، ويشتمل على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : في تحقيق اسم « البديع » وتوثيق نسبته إلى المصنف .

والثاني : في أسلوب ابن الساعاتي في البديع .

والفصل الثالث : في بديع النظام ومكانته العلمية ويشتمل على :

١ ـ وصف شامل لهذا المصنف .

٢ ـ عدد نسخه وأماكن وجودها مع وصف شامل لكل نسخة .

٣ ـ مكانة البديع في الأوساط العلمية .

وقسم التحقيق : ويتلخص عملي فيه في النقاط التالية :

١ ـ استنساخ نسخة الأصل بخط يدي ، مع ابراز ما فيه من العناوين الرئيسية والجانبية . ثم قابلته بكل من نسخة « أ و ب و جـ » كل واحدة على حده . وبينت ما وجدت من فروق في الحاشية .

٢ ـ التزمت باثبات ما ورد في نسخة المصنف في صلب الكتاب كما ورد ، بدون زيادة أو نقصان أو تغيير أو تبديل ، ونبهت في الحاشية على ما رأيته خطأ . وهو قليل جدا ولله الحمد .

وذلك محافظة على نص المؤلف ـ الذي يعطي صورة واضحة عن مقدرته العلمية وآرائه الأصولية ـ وحرصا على أمانة الأداء .

هذا فيما عدا الآيات القرآنية ، فإنه لا بد من تصحيحها اذا وجد فيها خطأ .

٣ ـ اعتاد المصنف أن يذكر كلمة من الآية أو جملة في موضوع الاستشهاد . ويدع الباقي . وقد التزمت ايراد الآية كاملة في الحاشية ، مع بيان رقمها وسورتها . وهذا فيه زيادة كلفة ومشقة علي لطول بعض الآيات الكريمة وتكررها . ولكني تحملت ذلك في سبيل بيان وجه الاستدلال ، لأن وجه الاستدلال لايتضح إلا بذكر السباق واللحاق ، سيما اذا اقتصر على ذكر كلمة من الآية أو كلمتين .

وقد يورد المصنف آية تتعدَّد أماكن وجودها في آي الذكر الحكيم ، فاضطر إلى عزوها من عدة سور ، لأوفر على الباحث بعض الجهد .

٤ ـ إرجاع الأحاديث الشريفة إلى مصادرها من كتب الصحاح والمسانيد وغيرها ، مع تحديد أماكن وجودها بذكر الجزء والصفحة . ولا أكتفي بمصدر واحد إلا في النادر . مع الإشارة إلى درجة الحديث وبيان أقوال علماء الفن فيه ماستطعت إلى ذلك سبيلا .

٥ ـ ارجاع الآثار والأقوال المأثورة إلى مصادرها مع توثيق نسبتها وبيان درجتها ماأمكن .

٦ ـ الترجمة للاعلام الذين يوردهم المصنف ، وذلك بذكر نبذة عن العلم تتضمن اسمه ونسبه وكنيته ومولده ووفاته ومكانته وآثاره العلمية ان وجدت . يلي ذلك مصادر ترجمته .

٧ ـ تحقيق نسبة المذاهب والأقوال التي ينسبها المصنف إلى أصحابها ، وذلك بالرجوع إلى مصادر المذهب المعتمدة ـ ان كانت النسبة إلى مذهب من

المذاهب الفقهية ـ وبالرجوع إلى كتب الشخص ، أو أقواله المبثوثة في كتب أصحابه إن كانت النسبة فردية . ثم إن كان الأمر كما ذكر المصنف ، اكتفيت بذكر الجزء والصفحة ، وان كان الأمر على خلاف ماذكر ، صححت النسبة وذكرت ماهو الصواب في الحاشية .

٨ ـ أحيانا أذكر المذاهب التي أغفلها المصنف عند كلامه على مسألة خلافية ، تتميما للفائدة ثم اتبع ذلك بذكر مصادر كل مذهب ، موضحا الجزء والصفحة .

٩ ـ أشرح ما أراه غامضا وأعرف ما يحتاج إلى تعريف ، لغة واصطلاحا ، مستعينا بكتب وقواميس اللغة ، والكتب الأصولية التي تهتم بالتعريفات . وذلك في الحاشية .

١٠ ـ تخريج الشواهد الشعرية التي يوردا المصنف من الدواوين والكتب الأصلية التي ورد فيها ذلك .

١١ ـ التعريف بالطوائف والفرق التي يتعرض لها المصنف مع ذكر مذاهبهم العقدية المخالفة لمذهب أهل السنة والجماعة وبيان زيفها أو ما عليها من المآخذ بالحاشية .

١٢ ـ التزمت بوضع مراجع لكل مسألة أو بحث يتعرض له المصنف في هذا الكتاب تشتمل على تفصيل تلك القضية أو ذلك البحث بشكل اوسع مع ذكر الجزء والصفحة ، تسهيلا على الباحث الذي يرغب في التوسع في الموضوع .

١٣ ـ انفردت نسخة « ب » بذكر عبارات الترحّم والترضي والتبجيل ، مثل : رضي الله عنه ، رحمه الله « تعالى » بعد لفظ الجلاله . وقد رأيت إثبات ذلك ضمن الأصل ، لأنه لا يخل بعبارة المصنف . ولا يغير مقصوده . ومثل

هذه العبارات ينبغي أن تقال عند ذكر أهل الفضل ، وهذا أقل مانكافئهم به ، بأن ندعو لهم ونترحم عليهم .

١٤ ـ وضع فهارس علمية تفصيلية لكل ماورد في هذا الكتاب ، فهرس للآيات الكريمة وآخر للأحاديث الشريفة يليه فهرس الآثار وفهرس للإعلام . .

* * *

هذا ويعلم الله تعالى ما بذلت من جهد ووقت ، وما عانيت من مشقة وارهاق نتيجة العمل الدائب ، والجهد المتواصل في سبيل أن يصل هذا العمل إلى المستوى المتوخَّى له وذلك لأهمية هذا الكتاب ، ولأن من طبعي الاستقصاء محبة في إتقان العمل ، امتثالا لقول الرسول ﷺ « إن الله يحب من أحدكم إذا عمل عملا أن يتقنه » (١) .

ولا أزكي نفسي ولا أدعي لعملي الكمال ، فان ابن آدم خطاء والكمال لله وحده . وحسبي أنني بذلت جهدي وهو جهد مقل ، وأسأل الله أن لا يكلني إلى نفسي ، وأن يتجاوز عني فيما أخطأت ، وأن يجعل عملي خالصا لوجهه الكريم ، هو نعم المولى ونعم النصير ولا حول ولا قوة إلا بالله . وصلى اللهم على نبينا محمد الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين ، وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

(١) انظر كشف الخفاء ١ / ٢٨٥ .

قسم الدراسة

القسم الأول : الدراسة

وموضوعها : ابن الساعاتي ، ومصنفه « بديع النظام » وقد جعلت ذلك في بابين :

الباب الأول :

في التعرف على ابن الساعاتي :

نسبه ـ نشأته ـ شيوخه ـ تلاميذه ـ مكانته العلمية ـ وتاريخ مولده ووفاته ، وذلك في فصلين :

والفصل الأول : في التعريف بابن الساعاتي منذ نشأته حتى وفاته مع اعطاء نبذة موجزة عن الأحداث عند نشأته .

والفصل الثاني : في شيوخه ، وتلاميذه ، وآثاره العلمية .

والباب الثاني :

في بديع النظام .

ويأتي تفصيل محتوياته في موضعه .

الباب الأول: في ابن الساعاتي
الفصل الأول : في التعريف به

وفيه مباحث :

المبحث الأول : في نسبه ومولده :

ابن الساعاتي : هو أبو الضياء ـ وقيل أبو العباس ـ أحمد بن علي بن تغلب ـ وقيل : ابن ثعلب ، وهو تصحيف ـ ابن مظفر الدين ، الشامي الأصل ، البغدادي المنشأ المنعوت بمظفر الدين ، المعروف بابن الساعاتي ، الحنفي .

ولد في بعلبك في العاشر من الشهر الحادي عشر من سنة إحدى وخمسين وستمائة من هجرة المصطفى ﷺ وانتقل مع أبيه إلى بغداد ، فنشأ بها ، وتعلم في المدرسة المستنصرية ، فلما نبغ وصار عالما بالفقه وأصوله تولى تدريسهما للحنفية بالمستنصرية .

وكان أبوه ذكيا حاذقا ، فهو الذي عمل الساعات المشورة على باب المستنصرية ببغداد ولذلك لقب ابنه هذا بابن الساعاتي .

قال ابن الفوطي : سألته عن مولده ، فذكرلي أنه ولد في يوم الجمعة ، عاشر ذي القعدة سنة إحدى وخمسين وستمائة بدرتنك [1] .

وقد أجمعت كتب التراجم التي ترجمت لابن الساعاتي على اسمه وسلسلة نسبه المذكورة وكذلك معظم نسخ بديع النظام كما سيتضح إن شاء الله فيما بعد عند الكلام على البديع . غير أنني وجدت على بعض نسخ البديع اختلافا قليلا في اسمه لعل منشأه التساهل من النساخ وعدم التحقيق . فقد جاء في نسخة أياصوفيا رقم ٩٤٨ في ورقة العنوان : بديع النظام ، للشيخ العالم شهاب الدين أحمد بن محمد الساعاتي ، ثم ذكر تاريخ وفاته وهو سنة ٦٩٤ هـ .

---

(١) تلخيص مجمع الآداب ٥ / ٥٦١ .

وجاء في نسخة كتبخانة عاطف افندي رقم ٦٥٦ في الصفحة الأولى : قال الشيخ الإمام العالم الفاضل المتقن المحقق زين الأدباء والمتكلمين ، تاج الفقهاء والأصوليين ، مظفر الدين محمدبن أبي العباس أحمد بن علي بن تغلب المعروف بابن الساعاتي رحمه الله : الخير دأبك اللهم يا واجب الوجود . . الخ .

والصحيح ، ما أجمعت عليه كتب التاريخ والتراجم ، من أن اسمه : أحمد ابن علي بن تغلب . . لأنها أدق في تحقيق الأسماء والنسب ، وأوثق في هذا الموضوع ، لأنه عين فنها ومجال تخصيصها .

وماذكر في النسختين المذكورتين لايضير في شيء ، لأنه ناتج عن عدم التحقيق كما ذكرنا ، حيث خلط النساخ بين اسمه واسم أخيه لأبويه . السيد ناصر الدين محمد ، وحدث تقديم وتأخير منشأه عدم الدقة والمعرفة معا ، فلايعول عليه في شيء ولا يعكر صفو ما اجتمعت عليه كتب التراجم[1] .

المبحث الثاني : في نشأته وما حدث في صغره وطلبه العلم وثناء العلماء عليه :

ولد ونشأ أحمد بن الساعاتي في فترة عصيبة ، فقد ولد في آخر خلافة المعتصم بالله أمير المؤمنين آخر خلفاء بني العباس بالعراق . وهذا يعني أنه قد شهد نهاية الدولة العباسية على يد هولاكو زعيم التتار . ولكنه لم يدرك تلك الأحداث لصغر سنه حيث كان آنذاك في الخامسة من عمره .

وذلك أن هولاكوخان قد قدم بجنوده ـ وكانوا نحو مائتي ألف مقاتل إلى بغداد في الثاني عشر من شهر الله المحرم سنة ٦٥٦ فأحاطوا ببغداد من ناحيتها

---

(١) انظر ترجمته وتحقيق اسمه ومولده في : الجواهر المضيئة ١ / ٢٠٨ الطبقات السنية ١ / ٤٦٢ الفوائد البهية ص ٢٦ مرآة الجنان ٤/ ٢٢٧ المنهل الصافي ١/ ٤٠٠ هدية العارفين ١/ ١٠٠ ، روضات الجنان ١/ ٣٢٥ ، تاريخ علماء المستنصرية ١ / ٩١ كشف الظنون ص ١٦٠٠ الاعلام ١ / ١٧٥ معجم المؤلفين ٢ / ٤ .

الغربية والشرقية . وكانت جيوش بغداد في غاية القلة ونهاية الذلة ، فهم لا يتجاوزون عشرة آلاف فارس وقد قتل الخليفة وكبار وجهاء البلد بحيلة مكر وخديعة من الوزير ابن العلقمي ـ الحاقد على المعتصم بالله وأتباعه بسبب قتله شيعته الرافضة على أيدي أهل السنة ـ فَدَبَّرَ مكيدة للتخلص من هؤلاء والإستبداد بالسلطة من بعدهم ، فراسل هولاكوخان سراً وزين له القدوم إلى بغداد والاستيلاء عليها وهون عليه أمرها فلما قدم أشار على الخليفة بالخروج لمقابلته لترتيب أمر الصلح . فخرج الخليفة في سبعمائة راكب من القضاة والفقهاء ورؤوس أمراء الدولة والأعيان . فلما قدموا على السلطان الطاغية هولاكوا قتلهم جميعا ثم مالوا على البلد فقتلوا جميع من قدروا عليه من الرجال والنساء والولدان والشيوخ بدون تمييز . ودخل كثير من الناس في الأبار والحشوش وقني الوسخ ، ومكثوا كذلك أياماً لا يظهرون .

وقد اختلف الناس في عدد من قتل ببغداد من المسلمين في هذه الوقعة . فقيل : ثمانمائة ألف ، وقيل : مليون وثمانمائة ألف ، وقيل مليون نسمة[1] . حدث كل ذلك على مرآى ومسمع مظفر الدين بن الساعاتي حيث كانت ولادته في سنة ٦٥١ أي قبل الغزو المغولي بخمس سنين . فقد شهد آثار الدمار الذي خلفه الغزو المغولي . ثم شاهد الجد والنشاط الذي قام به أهالي مدينته ـ بغداد ـ بعد وقعة التتار لإعادة البناء وإصلاح ما أفسده العدو . فلما شب أدلى بدلوه وساهم مع أبناء وطنه في عملية البناء ومن حسن حظهم أن آثار الحرب لم تدم طويلاً . فقد قَيَّض الله لهم واليا من قبل المغول يُدْعى عماد الدين عمر القزويني . وقد أثَّر كثيراً من الآثار الحسنة ، فعمر المساجد والمدارس وأجرى الجرايات في وقوفها للعلماء والفقهاء ، وأعاد رونق الإسلام بمدينة السلام .

---

(١) انظر البداية والنهاية ١٣/ ٢٠٠ ـ ٢٠٢ ، طبقات الشافعية الكبرى ١/ ١٧٥ ـ ١٨٤ ، شذرات الذهب ٥/ ٢٧٠ ـ ٢٧٣ .

وَفَضَّ على الأئمة الخيرات »[1] . ففتحت المدارس والمعاهد أبوابها ، وانتشرت حلق العلم واستأنفت الحياة نشاطها من جديد . حدث ذلك وابن الساعاتي في سن الطفولة ، فلمّا بلغ سن الطلب وجد كل الظروف مهيأة أمامه فزاحم طلاب العلم على حلَقه ، وشمَّرَ عن ساعد الجد وجالس العلماء وثابر على ذلك حتى نبغ وفاق أقرانه .

وهذا يعني أن ابن الساعاتي قد واكب النهضة الحضارية والفكرية التي حدثت بعد وقعة المغول في بغداد .

وقد عرف العلماء فضله منذ وقت مبكر ، فأنزلوه منزلته وأثنوا عليه بما هو أهله .

قال في الفوائد البهية : اشتغل بالعلم ، وبلغ رتبة الكمال ، وصار امام العصر في العلوم الشرعية . ثقة حافظا ، متقنا في الفروع وأصوله . أقر له شيوخ زمانه بأنه فارس جواد في ميدانيه ، حتى أن شمس الدين الأصبهاني ـ شارح المحصول ـ كان يفضله على ابن الحاجب ويقول : هو أذكى [2] .

وقال ابن الفوطي ـ وهو من المعاصرين له ـ : كان عالما بالفقه والأصول : عارفا بالمنقول والمعقول ، مليح الخط صحيح الضبط ، فصيح اللسان ، حسن البيان [3] .

وقال محيي الدين القرشي ـ وهو ممن عاش في عصره ، وشاهد آثاره عن كثب ـ : هو إمام كبير عالم علامة ، وكان الشيخ شمس الدين الأصبهاني

---

(١) انظر : تاريخ علماء المستنصرية ١/ ٣٤ الحوادث الجامعة ص ٣٣٣ ، تلخيص مجمع الآداب ٤/ ٨٠١ـ ٨٠٢ .

(٢) ص ٢٦ ـ ٢٧ .

(٢) تلخيص مجمع الآداب ٥ / ٥٦١ .

يفضله ، ويثني عليه ويرجحه علي الشيخ جمال الدين بن الحاجب ويقول : هو أذكى منه . ثم قال : وكان يكتب خطا منسوبا[1] .

وقال في الطبقات السنية : كان أحمد إماما كبيراً عالما علامة متقنا مفننا ، بارعا فصيحاً بليغاً قوي الذكاء[2] وكان يضرب بفصحاته وذكائه وحسن كتابته المثل[3] .

وقد تولى تدريس الحنفية الفقه والأصول بالمدرسة المستنصرية سنة ٦٨٣ هـ . قال ابن الفوطي : كان معيدا لدروس ظهير الدين النوجاباذي ، ثم رتب في منتصف ذي الحجة سنة اثنتين وثمانين وستمائة مدرسا بالمدرسة الموفقية . . ورتب مدرسا للحنفية لما خرج ظهير الدين من بغداد أيام الفتنة ، وفي شوال من السنة خلع عليه وولي التدريس بالمستنصرية وحضره الأئمة[4] .

وجاء في بعض المصادر أنه ارتحل إلى مصر من ضيق الحال الذي كان فيه ، فلما دخل مصر لم يحصل له نوال ، فكان يبيع كتبه وينفق أثمانها على نفسه وأنشد :

يا أهل مصر وجدت أيديكم ... عن مدّ أيدي النوال منقبضه

فمذ عدمت النوال عندكم ... أكلت كتبي كأنني أرضه[5] .

المبحث الثالث : في وفاته :

لم تختلف المصادر التي بين يديّ في تاريخ وفاة الشيخ أحمد بن علي ابن الساعاتي ، فكلها تذكر أنه توفي في سنة أربع وتسعين وستمائة . بل بعض تلك

---

(١) الجواهر المضيئة ١ / ٢٠٩ .

(٢) ١ / ٤٦٢ .

(٣) الطبقات السنية ١ / ٤٦٤ .

(٤) تلخيص مجمع الآداب ٥ / ٥٦١ وما بعدها .

(٥) انظر تاريخ علماء المستنصرية ١ / ٩٢ وحاشية الجواهر المضيئة ١ / ٢١٢ .

المصادر تحدد تاريخ وفاته باليوم والشهر . وهذا إنما يدل على شهرته وأهميته في الأوساط العلمية الناتجة عن مكانته العلمية التي جعلته محط أنظار الجميع .

قال اليافعي في حوادث سنة ٦٩٤ : وفيها توفي الإمام مظفر الدين أحمد بن علي المعروف بابن الساعاتي شيخ الحنفية وكان يضرب به المثل في الذكاء والفصاحة وحسن الخط[١] .

وقال في الطبقات السنة : قال العلم البرزالي : توفي ـ أي أحمد ـ ابن الساعاتي ـ في سنة أربع وتسعين وستمائة [٢] .

وفي حاشية إحدى نسخ الجواهر المضيئة المخطوطة : توفي ليلة الأربعاء رابع جمادى الأولى سنة أربع وتسعين ودفن بحضرة الجنيد قدس الله روحه . كتبه محمد بن السابق [٣] .

وجاء في نسخة مكتبة شهيد علي باشا رقم ٦٠٢ على صفحة العنوان : انه توفى في جمادى الأولى ، سنة أربع وتسعين وستمائة . وعلى هذا تكون سنة عند وفاته ٤٣ سنة تقريبا .

---

(١) مرآة الجنان ٤ / ٢٢٧ .

(٢) ١ / ٤٦٣ وانظر : المنهل الصافي ١ / ٤٠٣ تاريخ بغداد لابن رافع السلامي ص ٣٥ ـ ٣٦ تاج التراجم لابن قطلوبغا ص ٦ ، كشف الظنون ١ / ٢٣٥ ، ٧٣٤ ، ٢/ ١٦٠٠ ، ١٩٩١ معجم المؤلفين ٢/ ٤ الاعلام ١ / ١٧٥ .

(٣) انظر حاشية الجواهر المضيئة ١ / ٢١٢ .

الفصل الثاني

في شيوخ ابن الساعاتي وتلاميذه وآثاره العلمية

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : في التعرف على شيوخه :

تمهيـــد :

كانت بغداد في وقت ابن الساعاتي تعج بالعلماء في مختلف العلوم ، وقد ساعد وجود المدارس الكبيرة ، ذات التخصصات المختلفة على ازدهار الحركة العلمية وكثرة العلماء ، فهناك المدرسة المستنصرية ببغداد ، وتعد أول جامعة في العالم الإسلامي ، حيث عُنيت : بدراسة علوم القرآن والسنة والمذاهب الفقهية وعلوم العربيةوالرياضيات ومنافع الحيوان وعلم الطب . كما أنها أول جامعة إسلامية جُمعَت فيها الدراسات الفقهية على المذاهب الأربعة في بناية واحدة ، هي مدرسة الفقه . وقد أسسها الخليفة ا لعباسي ، المستنصر بالله سنة ٦٢٥هـ ببغداد . وتم افتتاحها في سنة ٦٣١هـ .

ومن المدارس المعاصرة للمدرسة المستنصرية : مدرسة أبي حنيفة ، والمدرسة المغيثية ، والموفقية ، ومدرسة زيرك بسوق العميد ، والتتشيه ، والبهائية ، ومدرسة تركان خانوت ، والمدرسة النظامية ، ومدرسة زمدر خانوت ، والتاجية ، والكمالية والفخرية .

ومن المدارس التي أنشئت عل يغرار المدرسة المستنصرية : المدرسة البشيرية ببغداد . أسستها زوجة المعتصم بالله سنة ٦٤٩هـ وفتحت في سنة ٦٥٣هـ . والمدرسة العصمتيه ببغداد تم بناؤها سنة ٦٧١هـ[1] .

---

(١) انظر تاريخ علماء المستنصرية ١/ ٢٥ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣١ .

ولما بلغ ابن الساعاتي سن الطلب ، وجد نفسه في هذا الخضم الهائل من المدارس ، التي تدرس مختلف العلوم ، وتعج بالعلماء في مختلف التخصصات فأخذ عن كثير منهم .

شيوخ مظفر الدين ابن الساعاتي :

أخذ ابن الساعاتي عن كثير من الشيوخ في مختلف العلوم . وممن أخذ عنه :

١ ـ الشيخ الإمام العلامة : شمس الدين أبو عبدالله محمد بن محمود بن محمدبن عبد الكافي الأصفهاني الأصولي ، المتكلم ، شارح المحصول في الأصول . ولد بأصفهان سنة ٦١٦هـ وكان والده نائب السلطنة ، واشتغل بجملة من العلوم في حياة أبيه ، وفاق أقرانه ، ولما استولى العدو على أصفهان ، رحل إلى بغداد ، واشتغل بالفقه على الشيخ سراج الدين الهرقلي ، ثم ذهب إلى الروم فأخذ عن الشيخ أثير الدين الأبهري الجدل والحكمة ، ثم دخل القاهرة ، وولي قضاء قوص ، ثم ولي قضاء الكرك مدة ، وتخرج به طلاب العلم ، وكان إماما في المنطق والكلام والأصول والجدل ، كثير العبادة والمراقبة ، حسن العقيدة وتوفي بالقاهرة سنة ٦٨٨هـ[١] .

وكان شمس الدين الأصفهاني يُفَضِّل مظفر الدين ابن الساعاتي ـ كما أسلفنا ـ ويثني عليه ويرجحه على جمال الدين ابن الحاجب ، ويقول هو أذكى منه[٢] .

٢ ـ الشيخ العالم : محمد بن عمر بن محمد ظهير الدين النوحاباذي[٣] كان شيخا عالما ، فقيها عارفا بالمذهب . تفقه على شمس الأئمة الكردري .

---

(١) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ٣١٥ ، النجوم الزاهرة ٧/ ٣٨٢ الفوائد البهية ص ١٩٨ العبر ٥/ ٣٥٩ .

(٢) انظر : الجواهر المضيئة ١/ ٢٠٩ الطبقات السنية ١/ ٤٦٢ تاريخ علماء المستنصرية ١/ ٩١ .

(٣) نسبة إلي نوحاباذ ـ بفتح النون وسكون الواو ثم الحاء المهملة ، بعدها ألف ثم ب موحّده بعدها ألف ثم ذال معجمة قرية من قرى بخارى الفوائد البهية ص ١٨٣ . وقيل : نوجاباذ . بالجيم المعجمة . انظر اللباب ٣/ ٣٢٩ تاريخ علماء المستنصرية ١/ ٩٠ .

وله تصانيف في العلوم منها : كشف الابهام لرفع الأوهام ، وكشف الأسرار في أصول الفقه . قدم دمشق ودرس ببغداد [1] .

وقد لازمه مظفر الدين ابن الساعاتي وأخذ عنه الفقه وأصوله وقرأ عليه تصانيفه ورَتَّبَ معيدا لدروسه . ولما خرج ظهير الدين من بغداد أيام الفتنة عام (٦٨٣) رتب ابن الساعاتي مدرسا للحنفية بالمستنصرية بدلا عنه [2] .

٣ ـ وسمع مظفر الدين ابن الساعاتي من ابن الصيقل [3] الجزري [4] برواق المستنصرية سنة ٦٧٦هـ من مقاماته الزينية : من أول المقامة الثامنة « الحلوانية » وهو أول المجلس الثالث ـ إلى آخر المقامة الخامسة والثلاثين « السروجية » ـ وهو آخر المجلس السابع ـ ومن أول المقامة السادسة والأربعين « الرقطاء الحصكفية » ـ وهو أول المجلس العاشر ـ إلى آخر المقامات [5] .

٤ ـ ومن مشايخه : ابن أخته ، العالم الفاضل : علي بن أنْجبَ بن عثمان بن عبيد الله بن الحارث . تاج الدين أبو طالب المعروف بابن الساعي البغدادي ، مؤرخ كبير ، سمع الحديث ، واعتنى بالتاريخ . وجمع وصنف . قال ابن كثير : له تاريخ كبير عندي أكثره ومصنفات أخرى مفيدة وآخر ماصنف كتاب في

---

(١) انظر ترجمته في الفوائد البهية ص ١٨٣ ، مجمع الآداب ٤/ ١٨٨ .

(٢) انظر تلخيص مجمع الآداب ٥/ ٥٦١ ـ ٥٦٢ .

(٣) بفتح الصاد وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح القاف وفي آخرها لام . وهذا يقال لمن يصقل السيف والمرآة وغيرهما . وقد اشتهر به جماعة منهم : أبو سهل : نصر بن أبي عبدالملك ، واسمه عبدالكريم المزني البلخي الصيقل ، نزيل سمرقند . انظر اللباب ٢/ ٢٥٤ .

(٤) نسبة إلى الجزيرة الواقعة بين دجلة والفرات ، وهي عدة بلاد منها : الموصل وسنجار وحران والرها والرقة ورأس العين وآمد وميافارقين وديار بكر . وينسب اليها عدد كبير من العلماء . انظر اللباب ١/ ٢٧٧ .

(٥) انظر تاريخ علماء المستنصرية ١/ ٩١ ، ٢/ ٤٦٣ .

الزهاد[1] ولد سنة ٥٩٣ هـ وتوفي في سنة ٦٧٤هـ[2] قال محي الدين القرشي : وذكره الحافظ الدمياطي في مشيخته [3] .

٥ ـ وقال ابن رافع ، عند ذكره لمشيخة ابن الساعاتي : وقرأ المقامات على مؤلفها : العلامة أبي الندى معد بن نصر الله الحراني ببغداد . وكتبها بخطه وكان علامة ورعا [4] .

٦ ـ وقال في الفوائد البهية ـ عند ذكره لفضل ابن الساعاتي ، وَسَعَةْ علمه ـ في سلسلة مشيخته : أخذ العلم عن تاج الدين : علي بن سنجر عن ظهير الدين محمد البخاري[5] ـ صاحب الفتاوى الظهيرية ـ عن الحسن قاضيخان ، عن الحسن بن علي المرغيناني ، عن البرهان عبدالعزيز بن عمر بن مازه ، عن السرخسي ، عن الحلواني [6] .

المبحث الثاني : في تلاميذه :

تقرر فيما تقدم أن الشيخ أحمد بن الساعاتي تولى التدريس للحنفية بالمدرسة المستنصرية مدة طويلة ، وقبل ذلك درس في المدرسة الموفقية ، سنة ٦٨٢ هـ وحضره الأكابر والأعيان . وهذا يدل على أن تلاميذه كثيرون ، وأن المستفيدين من علمه والمتخرجين عليه كثرة . لأن رواد هاتين المدرستين كثيرون ، والدراسة فيهما منتظمة ، والوقت ـ كما تقرر آنفا ـ وقت اقبال وجده وطلب . ولكن كتب التراجم والتاريخ التي بين أيدينا لم تذكر عن تلاميذه ، ومن تخرج عليه إلا القليل . ولعل مرجع ذلك : كثرتهم حتى صار أمرهم طبيعياً ، لا يلفت

---

(١) انظر البداية والنهاية ١٣ / ٢٧٠ .

(٢) انظر ترجمته في الجواهر المضيئة ٢/ ٥٤٦ ، الحوادث الجامعة ص ٣٨٦ ، هدية العارفين ١/ ٧١٢ ـ ٧١٣ تاريخ علماء بغداد لابن رافع ص ١٣٧ ـ ١٣٩ .

(٣) الجواهر المضيئة ٢ / ٥٤٦ .

(٤) انظر المنتخب المختار ص ٣٥ ـ ٣٦ .

(٥) انظر ترجمته في في الفوائد البهية ص ١٥٦ ـ ١٥٧ .

(٦) انظر ص ٢٦ ـ ٢٧ .

النظر كثيراً ، كما هو الشأن في مداسرنا وجامعاتنا اليوم ، حيث يتلقى العلم عدد كبير من الطلاب في أحد الفنون ، على أحد المشايخ الأعلام، ويتخرجون عليه ، ومع ذلك لا يُؤْبَه لذلك كثيرا من حيث الترجمة .

وممن تخرج على ابن الساعاتي ، أو استفاد من علمه أو أجاز ه :

١ ـ ابنه : مجد الدين أبو الفضل ، محمد بن مظفر الدين أحمد بن علي بن تغلب ، المعروف بابن الساعاتي . تخرج على والده وكان عالما بالفقه وأصوله وكثير من العلوم .

قال ابن الفوطي : « من أولاد الفقهاء العلماء ، وممن رَبَى في حجر ذوي الفضل، والسادة النجباء . اشتغل على والده بالفقه واتقنه وحفظ القرآن الكريم ، وكتب الخط المنسوب الحسن . وَرُتِّبَ معيدا لطائفته بالمستنصرية ثم لما توفي فخر الدين الرومي ، رتب مدرسا بالمدرسة ا لمغيثية وشهد عند قاضي القضاة النيلي « ثم قال : واستنابه الأمير عبد الله بن يوسف في فتح خزانة الكتب بالمدرسة المستنصرية واستنابه الشيخ جمال الدين مسافر بن إبراهيم الخالدي في الخزانة المذكورة ، وعنده أخلاق طاهرة »[١] .

٢ ـ ابنته فاطمة ، كانت فقيهة عالمة أديبة تفقهت على أبيها الشيخ مظفر الدين ابن الساعاتي وأخذت عنه مجمع البحرين قال محيي الدين القرشي : وقد رأيته بخطها ، وهو تعليق حسن رحمها الله[٢] .

وقال في الفوائد البهية : وكانت له بنت مسماة بفاطمة ، تفقهت على أبيها ، وأخذت عنه مجمع البحرين . وكانت تكتب تعليقا حسنا[٣] .

---

(١) انظر تلخيص مجمع الآداب ٥/ ٢١٩ ـ ٢٢٠ .

(٢) الجواهر المضيئة الترجمة رقم ٢٠١١ .

(٣) انظر ص ٢٧ .

٣ ـ أخته لأبويه المرموز لها « بأمة العزيز » تفقهت على أخيها مظفر الدين بن الساعاتي ، وأخذت عنه بديع النظام . وقد رأيته بخطها في المكتبة السليمانية باستنبول ، فقد جاء في نسختها : تم الكتاب والحمد لله أولاً وآخراً . . . وذلك على يد المفتقرة إلى الله ، أمة العزيز ، أخت مؤلفه لأبويه ، من خط مؤلفه في شهور سنة إحدى عشرة وسبعمائة [١] .

٤ ـ ومن الذين تخرجوا على ابن الساعاتي وأجاز لهم رواية كتبه ومسموعاته : الشيخ ركن الدين السمرقندي .

قال الشيخ محيي الدين القرشي : أخبرني الثقة من أصحابنا ، أنه شاهد على نسخة من مجمع البحرين ، بخط المصنف : قوبلت هذه النسخة وكتبت من أصلي ، فصحت ووافقت . . . وقد أجزت لمالكها ، الشيخ الإمام العالم الفاضل ، الورع الكامل ، ذي الأخلاق الكريمة ، والفضائل الجسيمة ركن الدين السمرقندي أدام الله حراسته وكتب سلامته أن يرويها عني . وكذلك أجزت له رواية الشرح الذي صنفته بعد اذا وقعت إليه نسخة يثق إلى صحتها ، وكذلك جميع ما يصح عنده انه من مقولاتي أو منقولاتي ، أو مسموعاتي أو مستجازاتي ، فهو أدام الله أيامه يجمل ما يرويه . . . الخ [٢] .

وقال في الفوائد البهية : وقرأ مجمع البحرين عليه ركن الدين السمرقندي وناصر الدين محمد [٣] .

٥ ـ ومن الذين قرؤا عليه واستفادوا من علمه : أخوه لأبويه ، الشيخ ناصر الدين محمد بن علي بن تغلب بن الساعاتي . فقد أخذ عن أخيه مظفر الدين كثيرا من علومه ، وقرأ عليه مجمع البحرين [٤] .

---

(١) انظر المخطوط رقم ٤٣٥ بالمكتبة السليمانية ـ بديع النظام ـ أصول .

(٢) الجواهر المضيئة ١ / ٢١٠ ـ ٢١١ وانظر المنهل الصافي ص ٤٠٢ ـ ٤٠٣ .

(٣) ص ٢٧ .

(٤) انظر الفوائد البهية ص ٢٧ تاريخ علماء المستنصرية ٢ / ٤٦٣ .

٦ ـ كمال الدين أبو الحسن محمدبن أحمد بن علي بن جميل الربعي البغدادي . الفقيه الصوفي المتوفي سنة ٦٩٢هـ . قرأ على مظفر الدين أحمد بن الساعاتي واستفاد من علومه وتخرج عليه .

قال ابن الفوطي : « كان فقيها عالما قرأ الفقه على مولانا ظهير الدين النوجاباذي ومظفر الدين ابن الساعاتي وكان من فقهاء المستنصرية . . . وكان كريم الأخلاق متوددا بيني وبينه صحبة مؤكدة منذ قدمت من مراغه كتبت عنه ونعم الصاحب كان . توفي سنة اثنتين وتسعين وستمائة »[١] .

المبحث الثالث : في آثاره العلمية :

آثار العلامة أحمد بن الساعاتي العلمية كثيرة ، وفي فنون مختلفة ، نذكر منها :

١ ـ بديع النظام الجامع بين كتابي : البزدوي والأحكام في أصول الفقه . وهو هذا الكتاب الذي أقوم بدراسته وتحقيقه .

قال محيي الدين القرشي : وله البديع في أصول الفقه ، جمع فيه بين أصول فخر الإسلام البزدوي والأحكام للآمدي . ثم ذكر خطبته وهي الموجودة في جميع نسخ البديع التي بين يدي . وكذلك فعل صاحب الطبقات السنية وغيره[٢] .

وسيأتي في الباب الثاني وصف شامل لبديع النظام ، مع توثيق نسبته إلى المصنف .

---

(١) تلخيص مجمع الآداب ٥/ ٢٣٥ ـ ٢٣٦ .

(٢) انظر الجواهر المضيئة ١ / ٢٠٩ الطبقات السنية ١ / ٤٦٣ ، مرآة الجنان ٤ / ٢٢٧ تاج التراجم ص ٦ ، كشف الظنون ١ / ٢٣٥ ، معجم المؤلفين ٢ / ٤ ، الفوائد البهية ص ٢٧ ، المنهل الصافي ص ٤٠٠ .

٢ ـ مجمع البحرين في فروع الحنفية . جمع فيه بين مختصر القدوري ومنظومة النسفي مع زوائد ، ورتبه فأحسن وأبدع في اختصاره قاله في الجواهر المضيئة[١] .

وقال حاجي خليفة[٢] : وهو كتاب حفظه سهل لنهاية إيجازه ، وحله صعب ، لغاية اعجازه ، بحر مسائله جمّ فضائله . ولنظام ابن النقيب التوقاني في مدحه :

مجمع البحرين بحر زاخر ... دره زان اللآلي أي زين

لسواد العين مجان اذا ... شربت نسختـه عينا بعين

أين في مذهب نعمان وفي ... غيره مثل لـه في الكتب أين

ضاءت الآفاق من أنواره ... قد تَبَدَّى ملتقى للنيرين

فسقى صوب الرضا منشئه ... ما سقى زهر الروابي صوب عين

وحلا في كل سمع لفظـه ... ما حلا وصل الغواني بعد بين

وهو كتاب مطبوع ومتداول ، ونسخه المخطوطة كثيرة جدا ، وقد رأيت كثيرا منها عندما زرت مكتبات تركيا والقاهرة . ففي مكتبة أيا صوفيا توجد نسخة تحت رقم ١٢٨٢ أولها : لا إله إلا الله أعدها للقائه ، الحمد لله جاعل العلماء أنجما للاهتداء زاهره ، وأعلامنا للاقتداء ظاهره ، وحجة على الحق قاطعه ، ومحجة إلى الصدق شارعه . . . الخ ثم قال : فهذا كتاب يصغر للحافظ حجمه ويغزر للضابط علمه ، وتتكشف لوقاد القريحة رموزه ، وتتضح لنقاد البصيرة كنوزه ، ويشرق لرائق اللفظ وجيزه . ويفوق على النظائر تعجيزه . يحوي مختصر الشيخ أبي الحسن القدوري ، ومنظومة الشيخ أبي حفص النسفي رحمهما الله ، فإنهما بحران زاخران وهذا مجمع البحرين . . الخ .

---

(١) ١ / ٢٠٩ وانظر الطبقات السنية ١ / ٤٦٢ ومعجم المؤلفين ٢ / ٤ .

(٢) كشف الظنون ٢ / ١٥٩٩ ـ ١٦٠٠ .

واليك قائمة بمخطوطات مجمع البحرين في المكتبات التي زرتها :

	اسم المخطوطة	رقمها	مكان وجودها
١ /	مجمع البحرين وملتقى النهرين	٩٠٨	مكتبة أسعد أفندي باستنبول
٢ /	= = = = =	٩٠٩	= = = = =
٣ /	= = = = =	٩١٠	= = = = =
٤ /	= = = = =	٩١١	= = = = =
٥ /	= = = = =	١١٤٩	مكتبة لاله لي باستنبول
٦ /	= = = = =	١١٥٠	= = = = =
٧ /	= = = = =	٨٥٠	مكتبة ولي الدين جارالله افندي باستنبول
٨ /	= = = = =	٨٥١	= = = = =
٩ /	= = = = =	٣١٧	مكتبة حسن حسني باشا بالسليمانية
١٠/	= = = = =	٣١٧	يوجد تحت هذا الرقم أربع نسخ رقمها مكرر في نفس المكتبة
١١/	= = = = =	٩٧٨	مكتبة فيض الله أفندي بالفاتح
١٢/	= = = = =	٥٩٦	المكتبة السليمانية بتركيا
١٣/	= = = = =	٤٥٣	مكتبة فليح علي باشا بالسليمانية
١٤/	= = = = =	٥٠٩	مكتبة بغدادي افندي باستنبول
١٥/	= = = = =	٥٢٩	= = = = =
١٦/	= = = = =	٦٥٤	مكتبة دامادا ابراهيم باشا بالسليمانية

كما يوجداحدى عشرة نسخة من مجمع البحرين في مكتبة فاتح ـ جامع شريف ـ تحمل الأرقام من ٢٠٩٢ إلى ٢١٠٢ .

ويوجد في مكتبة نور عثمانية التركية خمس نسخ منه وأرقامها : « ١٧٩٦ ، ١٧٩٧ ، ١٧٩٨ ، ١٧٩٩ ، ١٨٠٠ » .

٣ ـ شرح مجمع البحرين وملتقى النيرين [١] .

---

(١) وفي بعض النسخ المخطوطة : « النهرين » بالهاء . وانظر : الجواهر المضيئة ١ / ٢٠٩ الطبقات السنية ١ / ٤٦٢ معجم المؤلفين ٢/ ٤ كشف الظنون ٢/ ١٦٠٠ .

شرح ابن الساعاتي مصنفه « مجمع البحرين » في مجلدين كبريين وأوله : الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى .

ألفه لأبي القاسم ، عبد الله بن يوسف المستنصر بالله وقال في أوله بعد الحمد لله : فإنه لما كان علم الفقه من أشرف ما تطلعت له عزائم ذوي الهمم ، وأحق ما رصعت أحكامه بجوامع الحكم . . جمعت فيه كتابا وسميته بمجمع البحرين وملتقى النيرين ، وتنادت في حسنه مطالعه ومقاطعه ، وحوز سحر البيان جوامعه وبدائعه وكان السيد الأمير المعظم العالم شرف آل عباس ، أبو القاسم عبدالله ابن الأمير أبي هاشم يوسف بن الأمير أبي القاسم عبدالعزيز ابن الإمام أبي جعفر المستنصر بالله ، أمير المؤمنين أمتع الله بطول بقائه ورضي عن أسلافه الطاهرين وبأنه ممن اعتنى بتحصيله وحفظه لغزارة فوائده وعذوبة لفظه أشاد وأشار به غنم فطاعة أمره غنم استدعى بأن أضع له شرحا مختصرا يهدي إلى غوامضه وأسراره ويكشف عن دقائقه وأغواره مقتصرا فيه على ألفاظ الكتاب ورموزه مشيرا بالأدلة المختصرة إلى دقائق الفقه وكنوزه . فبادرت إلى طاعته ، وتحقيق أشارته ، معتمداً على الله تعالى » .

هذا الكلام أخذته من نسخة مخطوطة وموجودة في مكتبة ولي الدين جار الله أفندي باستنبول ، تحت رقم (٧٠٤) وقد كتب على ورقتها الأولى : هذا شرح مجمع البحرين للمصنف ـ ابن الساعاتي ـ وهذا الجلد نصف الكتاب إلى الوقف ، ويليه المجلد الثاني إلى آخر الكتاب .

كما شاهدت العديد من نسخ هذا الكتاب في مختلف المكتبات التركية وهذا بيان بأرقام النسخ وأماكن وجودها في المكتبات التركية التي زرتها :

اسم المخطوطة	رقمها	مكان وجودها
١ / شرح مجمع البحرين لابن الساعاتي	٤٥٤	مكتبة يكي جامع شريف بالسليمانية
٢ / = = = = =	٨٣٨	مكتبة شهيد علي باشا
٣ / = = = = =	٨٣٩	= = =
٤ / = = = = =	٨٤٠	= = =
٥ / = = = = =	٥٥٤	مكتبة دامادا ابراهيم باشا بالسليمانية
٦ / = = = = =	٥٥٥	= = =
٧ / = = = = =	٥٥٦	= = =
٨ / = = = = =	٥٥٧	= = =
٩ / = = = = =	١٧٥٢	مكتبة فاتح ـ فاتح جامع شريف ـ
١٠/ = = = = =	١٧٥٣	= = =
١١/ = = = = =	١٧٥٤	= = =
١٢/ = = = = =	١٧٥٥	= = =
١٣/ = = = = =	١٧٥٦	= = =
١٤/ = = = = =	١٧٥٧	= = =
١٥/ = = = = =	١٧٥٨	= = =
١٦/ = = = = =	١٧٥٩	= = =
١٧/ = = = = =	١٢١٣	مكتبة ولي الدين باستنبول
١٨/ = = = = =	١٢١٤	= = =
١٩/ = = = = =	٨١١	مكتبة فيض الله افندي بالفاتح
٢٠/ = = = = =	٨١٢	= = =
٢١/ = = = = =	٨١٤	= = =

هذه بعض نسخ شرح مجمع البحرين لمصنفه ابن الساعاتي . وقد تناوله بالشرح والتعليق عدد كبير من العلماء في مختلف العصور الماضية ، ورأيت

سبع نسخ من شرحه لابن ملك في مكتبة فاتح باستنبول تحمل الأرقام من ١٧٦٠ إلى ١٧٦٦ ، وفي مكتبة فيض الله أفندي ثلاث نسخ أرقامها : ٨٠٩ ، ٨١٠ ، ٨١٣ .

وذكر حاجي خليفة بعض الذين شرحوا مجمع البحرين وأسماء شروحهم ، فعد منهم (١٢) شارحا من كبار علماء الشريعة[١] .

وقد اختصر الأصل الشيخ برهان الدين ابراهيم بن عبد الله الطرابلسي الحنفي المتوفي سنة ٨٩٩هـ . ونظمه إبراهيم بن محمد الغزي القاضي ، وشرح فرائضه قاسم بن قطلوبغا الحنفي .

ويوجد على شرح ابن ملك حاشية ليست بتامة ، لقاسم بن قطلوبغا . وعلى شرح المصنف حاشية لجمال الدين محمد بن محمد الاقسرابي الشافعي[٢] .

وهذا الاهتمام البالغ بكتب ابن الساعاتي ، الذي يظهر جليا في كثرة من تناول مصنفاته بالاستنساخ والشرح والتعليق والاختصار والدراسة ، يدل دلالة واضحة على علو مكانة هذا العالم في الأوساط العلمية الناتج عن غزارة علمه ، وقدرته على التأليف الجيد .

٤ ـ وله كتاب : الدر المنضود في الرد على فيلسوف اليهود « ابن كمونّه » ألفه ردا على كتاب عز الدولة : سعد بن منصور بن سعد بن الحسن بن هبة الله بن كمونه اليهودي المتوفى سنة ٦٨٣ المسمى « تنقيح الأبحاث في البحث عن الملل الثلاث »[٣] .

٥ ـ وله مجموعة خطب وأشعار .

قال ابن الفوطي : كان يخطب في العيدين بالمستنصرية نيابة عن مولانا محي الدين ابن المحيا العباسي[٤] .

---

(١) ولمعرفة أسمائهم وتواريخ وفاتهم انظر كشف الظنون ٢/ ١٦٠٠ ـ ١٦٠١ .

(٢) انظر نفس المرجع ص ١٦٠١ .

(٣) انظر الطبقات السنية ١ / ٤٦٢ تلخيص مجمع الآداب ٥/ ٥٦١ تاريخ بغداد لابن رافع ص ٣٥ الحوادث الجامعة ص ٤٤١ ، كشف الظنون ١/ ٤٩٥ ، ٧٣٤ معجم المؤلفين ٢/ ٤ المنهل الصافي ص ٤٠١ .

(٤) انظر تلخيص مجمع الآداب ٥ / ٥٦١ .

الباب الثاني

في بديع النظام

ويشتمل على ثلاثة فصول :

الفصل الأول :

في تحقيق اسم « البديع » وتوثيق نسبته إلى المصنف .

الفصل الثاني :

في أسلوب ابن الساعاتي ، ومدى تأثره في البديع .

الفصل الثالث :

في بديع النظام ، ومكانته العلمية بين العلماء .

ويشتمل على :

١ ـ وصف شامل لبديع النظام .

٢ ـ بيان لعدد نسخه وأماكن وجودها ، مع وصف شامل لحالة كل نسخة .

٣ ـ مكانة هذا المصنف في الأوساط العلمية .

الفصل الأول

في تحقيق اسم البديع وتوثيق نسبته إلى المصنف

أولاً : تحقيق اسم البديع :

اختلفت أسماء نسخ هذا المصنف النفيس من حيث اللفظ فقط ، فبعضها كتب على صفحته الأولى : « نهاية الوصول إلى علم الأصول » ومنها مسودة المصنف ونسخة مكتبة ولي الدين جار الله رقم ٥٦٥ باستنبول .

فقد جاء على الورقة الأولى من مسودة المصنف ما نصه : نهاية الوصول إلى علم الأصول . مما اعتنى بجمعه وتأليفه أضعف عباد الله تعالى ، أحمد ابن علي بن تغلب بن الساعاتي المدرس للحنفية بالمستنصرية . أثابه الله تعالى .

وكتب على الصفحة الأولى من نسخة ولي الدين جار الله ما نصه : نهاية الوصول إلى علم الأصول تأليف الشيخ الإمام مظفر الدين أحمد بن علي بن تغلب ابن الساعاتي .

وكتب تحته : « لكن اشتهر هذا بكتاب البديع لابن الساعاتي ، وهو المفهوم من ديباجة الكتاب صريحا ، ولهذا اشتهر به في الشام ومصر والروم والهند وغربا » .

وبعضها كتب عليه « بديع النظام ، الجامع بين كتابي البزدوي والأحكام » ومنها نسخة لاله لي رقم ٦٨٦ .

وبعضها كتب عليه « البديع في الأصول » ومنها نسخة شهيد علي باشا رقم ٦٠٣ والنسخة رقم ٦٠٢ ونسخة أخت المصنف رقم ٤٣٥ .

وبعضها كتب عليه « بديع النظام في أصول الفقه » ومن هذا النوع نسخة مكتبة بشير آغا رقم ١٨٦ ونسخة عاطف أفندي رقم ٦٥٦ . ومنهم من اقتصر

على الاسم الأول ، ونسبه إلى مصنفه فقال : « كتاب البديع لابن الساعاتي » مثل نسخة شهيد باشا رقم ٦٠١ .

ومرجع هذا الاختلاف هو عبارة المصنف في مقدمة هذا الكتاب . حيث قال في مقدمة مسودته : « قد منحتك أيها الطالب لنهاية الوصول إلى علم الأصول ، بهذا الكتاب البديع في معناه المطابق اسمه لمسماه ، لخصته لك من كتاب الأحكام ، ورصعته بالجواهر النفيسة من أصول فخر الاسلام . . الخ » .

فعبارته ـ كما ترى ـ مشتملة على عدة أسماء كلها صالحة لهذا الكتاب ولذلك حصل الاختلاف في أسماء نسخ هذا المخطوط ، فبعض العلماء أخذ الاسم الأول ، فسماه « نهاية الوصول » وبعضهم أخذ الاسم الثاني فقال : « كتاب البديع في أصول الفقه » وفريق آخر استشف اسمه من وصف المصنف له فقال : « بديع النظام الجامع بين كتابي البزدوي والأحكام » .

وأنت ترى أن كل هذه التسميات صحيحة ، وصادقة على هذا المصنف لأنها جميعها عائدة إلى عبارة المصنف ، ومأخوذة منها ، واختلافها لفظي ، لايؤثر على صحة نسبة هذا الكتاب الى مظفر الدين أحمد ابن الساعاتي ، بأي حال ، لأنها مأخوذة من عبارة المصنف ـ كما تقرر ـ ولأن نص الكتاب ـ على اختلاف أسمائه ـ واحد ، لا يختلف من نسخة إلى أخرى .

ويمكن أن يستفاد من ذلك : أن المصنف لم يضع اسما محددا على غلاف مسودته اذ لو وضع لها اسما لما كان لأحد حق في تسميتها بغيره .

ولعل ذلك ناتج عن سرعة وفاته ، حيث لم يمكنه الاجل من تبييض مسودته فقد توفي بعد فراغه من تسويدها بفترة قصيرة .

قال في نهاية نسخته : « فرغت هذه المسودة في شهر المحرم من سنة أربع وتسعين وستمائة من يد مؤلفها أحمد بن علي بن تغلب بن الساعاتي » .

وقد تقرر من كتب التراجم ـ كما تقدم ـ أنه توفي في ليلة الأربعاء ، رابع جمادى الأولى ، سنة أربع وتسعين وستمائة . وعلى هذا : ليس بين فراغه من تسويدها ووفاته إلا ثلاثة أشهر وبضعة أيام ، وهذه فترة قصيرة لا تكفي لتبييضها علما بأنه كان يقضي جل وقته في التدريس بالمستنصرية . هذا مع احتمال مرضه وملازمته للفراش فترة من الزمان قبل وفاته .

ويمكن أن يستفاد أيضا أن بديع النظام آخر مصنفات ابن الساعاتي بناءاً على ما تقرر أعلاه .

ثانيا : توثيق نسبة بديع النظام إلى مصنفه بن الساعاتي :

لم يختلف في نسبة هذا المصنف إلى مؤلفه مظفر الدين أحمد بن علي بن تغلب بن الساعاتي . فجميع كتب التاريخ والتراجم التي ذكرت ابن الساعاتي ، ذكرت هذا المصنف (١) . ونسبته إليه . كما أن بعضهم يذكر طرفا من خطبة هذا الكتاب ، عند ذكره ويثني عليه . وقد تطابق جميع ما ذكروه من خطبته . كما أنه مطابق تماما لما في نسخة الموجودة لديّ ، على الرغم من كثرتها ، واختلاف عصور نسخها . وكذلك جميع نسخ هذا الكتاب التي اطلعت عليها لم تختلف في نسبة هذا المصنف إلى ابن الساعاتي ، سواء كتب عليها « نهاية الوصول » . . أو بديع النظام .

وقد ذكرت ـ عند تحقيق اسم البديع ـ طرفا مما جاء في ديباجة الكتاب ، وهو وحده دليل قاطع على ثبوت سبة هذا المصنف إلى ا بن الساعاتي فلا نطيل فيما لاحاجة الى الاطالة فيه . وقد تقدم عند الكلام على آثار المصنف العلمية مايدل على توثيق نسبته إليه ، وسيأتي في الفصل الثالث مزيد من التوثيق عند الكلام على نسخ بديع النظام .

---

(١) انظر الجواهر المضيئة ١/ ٢٠٩ ، الطبقات السنية ١/ ٤٦٣ ، مرآة الجنان ، ٤/ ٢٢٧ ، تاج التراجم ص ٦ ، المنهل الصافي ص ٤٠٠ ، الفوائد البهية ص ٢٧ ، كشف الظنون ١/ ٢٣٥ ، معجم المؤلفين ٢/ ٤ ، الأعلام ١/ ١٧٥ .

الفصل الثاني

في أسلوب ابن الساعاتي في البديع

مظفر الدين ابن الساعاتي علم مشهور لايشك في قدرته العلمية وبراعته في التآليف وسهولة أسلوبه ، لأنه ـ كما وصفه العلماء المعاصرون له ـ عالم بالمنقول والمعقول ، فصيح اللسان ، حسن البيان وله باع في الكتابة والتأليف ، وتصانيفه مستحسنة لدى العلماء .

ومصنفه « بديع النظام » مختصر من كتابين كبيرين من أهم كتب أصول الفقه في المذهبين ـ الحنفي والشافعي ـ كما هو معلوم لدى الجميع ، مع اختلافهما في الطريقة والترتيب ، فأصول الحنفية مبنية على الفروع والمسائل المنقولة عن أئمتهم ، بينما بنى الشافعية الأصول على الأدلة والقواعد العامة التي يندرج تحتها جملة من المسائل الفروعية .

وهذا اختلاف كبير بين الطريقتين يجعلك تَتَصوَّر مدى الصعوبة التي سيلاقيها من حاول الجمع بين هذين المذهبين . وهذا ما حدث للمصنف ابن الساعاتي عندما حاول الجمع بين المذهبين ، الحنفي والشافعي من خلال الجمع بين أصول البزدوي وإحكام الآمدي في مصنف واحد يحوي الطريقتين .

ولذلك تأثَّر أسلوبه المعروف بالسلاسة والوضوح ، وصار فيه شيء من الغموض والإلتباس ، ولا سيما في الأمثلة الفروعية التي يوردها للتوضيح . وهذا شيء مألوف في المختصرات ولا سيما تلك التي تختصر المُطَوَّلات إلى كتاب صغير الحجم ، سهل الحمل ، لابد أن يكون فيها شيء من الغموض ، ولهذا احتاجت إلى الشروح والتعليقات والحواشي ، ولا أدلَّ من كلام الشخص على أسلوبه وطريقته في الكتابة ، وقد قال ابن الساعاتي في مقدمة مجمع البحرين : فهذا كتاب يصغر للحافظ حجمه ، ويغزر للضابط علمه ، وتنكشف لوقاد

القريحة رموزه وتتضح لنقاد البصيرة كنوزه ، ويشرق لرائق اللفظ وجيزه ، ويفوق على النظائر تعجيزه . أما كلامه في مقدمة البديع فسيأتي في الفصل الثالث عند وصف هذا المصنف .

وقد اعتمد مظفر الدين ابن الساعاتي على فروع الحنفية ، واعتبرها أصل الباب ـ كما أشار إلى ذلك في مقدمة هذاالكتاب ـ فساق الأمثلة جميعها من الفقه الحنفي .

وهذا من المآخذ التي تؤخذ عليه ، وقد جعل مذهبه هو أصل الكتاب ، فاذا وجد المسألة في أصول أصحابه ـ الحنفية ـ اعتمدها ودافع عنها ، وهاجم الخصوم ولم يعرج على أصول الشافعية ، إلا للرد عليهم ، أما إذا لم تكن عند الحنفية فانه يأخذها من أصول الشافعية .

ولم يقتصرعلى الأخذ من الكتابين المذكورين ، بل أخذ منهما ومن غيرهما من أصول الحنفية والشافعية ، كأصول السرخسي والبرهان لإمام الحرمين والارشاد والتبصرة والمعتمد وغيرها .

وقد تطرَّق إلى مذهب الحنابلة والمالكية وبعض المذاهب الفردية في بعض الأبواب .

أما تقسيم هذا المختصر فقد سار فيه على طريقة الآمدي ، فقسمه إلى أربع قواعد ، الأولى في المبادىء « الكلامية ، واللغوية ، والفقهية » ، والثانية في الأدلة السمعية بأنواعها . والثالثة في الاجتهاد والمفتي والمستفتي . والرابعة في الترجيحات وطرق المطلوبات . وسيأتي تفصيل ذلك عند الكلام على هذا المصنف إن شاء الله .

في بديع النظام ومكانته بين العلماء

ويشتمل على :

١ ـ وصف شامل لبديع النظام .

٢ ـ عدد نسخه المخطوطة التي عثرت عليهامع وصف عام لكل نسخة .

٣ ـ مكانته في الأوساط العلمية .

أولاً : وصف البديع :

بديع النظام مصنف لطيف في أصول الفقه ، جمع فيه مولفه بني مذهبين متميزين في الأصول ، فجاء مثالا في المختصرات قل أن تجد له نظيراً ، فهو مع صغر حجمه قد حوى مااشتملت عليه المطولات ، وقد وصفه مصنفه فقال : قد منحتك أيها الطالب لنهاية الوصول إلى علم الأصول بهذا الكتاب البديع في معناه ، المطابق اسمه لمسماه لخصته لك من كتاب الأحكام ورصعته بالجواهر النفيسة من أصول فخر الإسلام ، فانهما البحران المحيطان بجوامع الأصول ، الجامعان لقواعد المعقول والمنقول ، هذا حاو للقواعد الكلية الأصلوية ، وذاك مشحون بالشواهد الجزئية الفروعية . وهذا الكتاب يقرب منهما البعيد ، ويولف الشريد ويعبِّد لك الطريقين ويعرفك اصطلاح الفريقين ، مع زيادات شريفة ، وقواعد منقحة لطيفة ، واختيار للفظ واللباب ، ورعاية للمذهب الذي هو أصل الباب ، فما أجدرك بتحصيله وتحقيق اجماله وتفصيله .

وأوله « الخير دأبك اللهم يا واجب الوجود ، والفيض شعارك يا واسع الرحمة والجود ، أنت الذي لا ينقص فيضك العطاء ، وكلتا يديك بالخير سخاء . . الخ .

وهو مصنف متوسط الحجم يقع في مجلد واحد يتراوح عدد صفحاته بين مائة وأربعين إلى أربعمائة وخمسين صفحة حسب اختلاف الخط وحجم الصفحة .

وقد قسمه مصنفه إلى أربع قواعد ، فبدأه بالكلام على المبادىء وجعلها ثلاثة أقسام : مبادىء كلامية ومبادىء لغوية ، ومبادىء فقهية .

وفي المبادىء الكلامية عرف الدليل ، والنظر والعلم والامارة والظن والشك والوهم . وذكر الاختلاف في تعريف كل واحد من هذه .

وتكلم في المبادىء اللغوية على مبدأ اللغات وأنواع الكلام الموضوع لمعنى ، وابتداء وضعه ، وطريق معرفته . وبين أن أنواع الكلام ثلاثة : اسم ، وفعل وحرف . ثم عرف الاسم ، وقسمه إلى قسمين : مفدر ومركب . وعرف المفرد وبين دلالاته ثم قال : وهو ومفهومه : أما ان يتحدا ، أو يتعددا ، أو يتحد الاسم ويختلف مسماه ، أو بالعكس . فالأول : أما أن يصح أن يشترك في مفهومه كثيرون بالفعل ، أو بالقوة وهو الكلي ، أولا يصح وهو الجزئي .

وقد تكلم تحته علَى أنواع الدلالة فذكر العام والخاص والكلي والجزئي ، والمطلق والمشترك والمترادف وبين الفرق بين المرادف والمؤكد والتابع . ثم تكلم على الحقيقة والمجاز وعرف كلا منهما ، ثم بين ماتعرف به الحقيقة من المجاز ، وان الأصل في الكلام الحقيقة والمجاز خلف عنها ، ومتى تترك الحقيقة ويستعمل المجاز ، وهل يمكن إرادتهما معاً من لفظه واحدة وهل المجاز يستلزم الحقيقة ثم تكلم عن الأسماء الشرعية وبين أنها جائزة وواقعة . وأن المجاز واقع في اللغة وفي القرآن ، وذكر أنواع العلاقة .

وكان يذكر أمثلة كثيرة من فروع الحنفية لكل ما يورده ، ويذكر الخلاف ويجادل ويستعمل الألفاظ المنطقية كثيرا .

ثم عرف الظاهر والخفي ، والنص ، والمفسر ، والمجمل ، والمتشابه ، والمشكل . وعرج على المشتق فعرفه وذكر شروط الاشتقاق ، والخلاف فيها ، وأنه لا يشتق اسم فاعل لشيء والفعل قائم بغيره خلافا للمعتزلة . ثم بحث الخلاف في القياس في اللغة .

ورجع إلى الفعل فعرَّفه ، وذكر أنواعه وعلامة كل نوع . ثم انتقل إلى الحرف ، فعرفه وذكر أنواعه وما يحتاج اليه الأصولي منها ، وبين استعمالات كل حرف ودلالته ، مع الأمثلة من الكتاب والسنة والفروع الفقهية . وفي كل ذلك يذكر الخلاف ويناقش المخالفين ويرد عليهم .

ثم عرج على المركب فعرفه ، وذكر الخلاف بين الأصوليين وأهل اللغة فيما يسمى كلاما ، وما لا يسمى .

ثم انتقل إلى الكلام في مبدأ اللغات ، والخلاف في الواضع لها فذكر المذاهب في ذلك وأدلة كل مذهب وناقشها .

ثم إنتقل إلى المبادىء الفقهية ، فبحث الحكم الشرعي وذكر أنه يستلزم حاكما ، ومحكوما فيه ومحكوما عليه .

وتحت « الحاكم » بحث التحسين والتقبيح وهل يحسن العقل ويقبح ؟ وذكر ما اتفق عليه من تحسين العقل وتقبيحه ، وما اختلف فيه مع ذكر المذاهب وأدلة كل فريق .

ثم تكلم على وجوب شكر المنعم عقلا ، وبين ما فيه من خلاف .

وانتقل إلى بيان حكم الأفعال قبل الشرع ، وذكر المذاهب فيه .

وبعد ذلك انتقل إلى الأصل الثاني ، وهو « الحكم الشرعي » فعرفه وعدد أقسامه ، من الوجوب والتحريم والكراهة والندب والإباحة وعرف كل واحد منها في موضعه وذكر ما يتعلق به من أحكام ، مع تفريعات عجيبة في مسائل عديدة ، تعرف في مواضعها من هذا المصنف .

ثم ذكر الخلاف في ترادف الفرض والواجب . وتكلم على الواجب المخير ، والواجب الموسع والواجب المضيف . وأن العبادة : أما غير موقتة وتجب على التراخي ، أو مؤقتة ووقتها : أما ظرف للمؤدى ، وشرط للأداء وسبب للوجوب أو سبب ومعيار أو معيار لاسبب ، وذكر أمثلة ذلك والخلاف فيها في كلام طويل .

وبحث الأداء والقضاء ، وفرَّعه بما لا يتسع المقام لذكره . وذكر الخلاف في ـ ما لا يتم الواجب إلا به ـ وعدد المذاهب . ثم ذكر أصناف الأحكام الثابتة بخطاب الوضع ، وبحث كل واحد على حده ، فعرفه وبين أحكامه وما فيه من خلاف .

ثم انتقل إلى الأصل الثالث وهو « المحكوم فيه » فبحث الخلاف في جواز التكليف بالمحال ، وهل يشترط في التكليف بفعل حصول شرطه ؟ وبين أن التكليف كسبي ، وأن التكليف سابق على ا لفعل ، ومنقطع بعده ، وهل يتعلق به حال حدوثه ؟ فيه خلاف بسطه المولف ، وذكر حجة كل فريق .

ثم ذكر حكم النيابة في التكاليف البدنية وما فيه من خلاف .

وفي الأصل الرابع وهو « المحكوم عليه » ذكر شروط التكليف . ثم بحث الأهلية ، وقسمها إلى : أهلية وجوب ، وأهلية أداء ، وكل منهما تكون ناقصة ، وتامة . وبين ما تعتمده كل واحدة منهما . ثم بحث عوارض الأهلية : السماوية ، والمكتسبة . وعرف كل واحد منها وبين حكم الشخص عند وجودها .

أما القاعدة الثانية : ففي الأدلة الشرعية وهي : الكتاب والسنة والاجماع والقياس .

وقد بدأ بالكتاب العزيز ، فساق ماذُكر في تعريفه من أقوال . وذكر أن مالم ينقل متواترا مقطوع بأنه ليس بقرآن ، وأن القراءات السبع مشهورة وقيل متواترة .

ثم انتقل إلى السنة فعرفها وذكر أقسامها ، ثم تكلم عن أفعاله عليه الصلاة والسلام الجبلية وغير الجبلية ـ وتعارض فعله وقوله في كلام طويل ، وصور عديدة ، مع ذكر ما فيه من خلاف .

ثم انتقل إلى الاجماع ، فعرفه وذكر الخلاف في وقوعه والخلاف في حجيته . وذكر الخلاف في الاجماع السكوتي ، واجماع الخلفاء الراشدين واجماع الشيخين ـ أبي بكر وعمر ـ واجماع أهل المدينة ، واجماع أهل البيت واجماع الصحابة مع مخالفة تابعي مجتهدٍ إلى غير ذلك من المسائل المتعلقة بالاجماع وهي كثيرة جدا .

ثم انتقل إلى ما تشترك فيه الأصول الثلاثة ـ الكتاب والسنة والاجماع ـ فذكر انها تشترك في السند والمتن . فبدأ بالسند وفيه تكلم عن حقيقة الخبر واقسامه وأنه أما معلوم الصدق أو معلوم الكذب ، أو لا يعلم واحد منهما وينقسم إلى متواتر وآحاد . . . إلى آخر ما ذكر عن الأخبار وشروطها وما يتعلق بها ، وفيه مسائل كثيرة جدا .

والنوع الثاني : المتن وفيه ثلاثة فصول ، الأول : فيما تشترك فيه الثلاثة من دلالة المنطوق ، فمنه الأمر ، ومنه النهي ، ومنه العام والخاص ، ومنه التخصيص ومنه المطلق والمقيد ، ومنه المجمل والمبين ، ومنه البيان وهو بيان ضرورة وبيان تبديل « وهو النسخ » وهنا عرف النسخ وبين الخلاف في جوازه عقلا ووقوعه شرعا ، ثم ذكر شروط النسخ وما ينسخ به وما لا ينسخ به .

والفصل الثاني : في وجوه اقتناص الحكم من النظم ، فمنها : العبارة ، وهي ما استفيد من لفظه مقصودا به .

ومنها الاشارة : وهي ما استفيد من لفظه غير مقصود به .

ومنها الدلالة : وهي المسماة بمفهوم الموافقة ، وفحوى الخطاب .

ومنها الاقتضاء والمقتضى : ما يتوقف عليه صحة المنطوق شرعا ، مرادا معه .

والفصل الثالث : في المفهوم : وهو مادل عليه اللفظ في غير محل النطق ، وهو نوعان : مفهوم موافقة، وهو الدلالة ، ومفهوم مخالفة: وهو أن يكون المسكوت عنه مخالفا للمنطوق في الحكم ، ويسمى دليل الخطاب ، وهو أقسام : منها مفهوم الصفة ، ومنها مفهوم الشرط ، ومنها مفهوم الغاية ومنها مفهوم اللقب ، ومنها مفهوم الحصر ومفهوم قران العطف .

وكل واحد من هذه الفصول تحته جملة من المسائل والتنبيهات والتفريعات وبسط القول في هذه القضايا وبين ما فيها من خلاف ، وذكر المذاهب وأدلة كل قول ، وناقشها .

ثم انتقل إلى القياس ، فذكر تعريفه في اللغة والاصطلاح وتطرق إلى اختلاف الأصوليين في تعريفه اصطلاحا . ثم عدد أركانه وذكر شروط كل ركن بالتفصيل مع ذكر الاختلاف فيما اختلف فيه والمناقشة والترجيح .

ثم قال : فصل في الطرد وتقسيمه ، وذكر تعريفه وبين وجوه الطرد ، وهي : الوجود عند الوجود ، والعدم عند العدم ، والتعليل بالنفي ، واستصحاب الحال والاحتجاج بتعارض الأشباه والاحتجاج بوصف فارق والاحتجاج بما هو ظاهر الفساد والاحتجاج بلا دليل . وقد فصل جميع ذلك وبين حكم الاحتجاج به وما فيه من مذاهب .

ثم قال : فصل في اثبات العلة : وفيه مسالك . ثم عدد مسالكها وهي النص والاجماع والسبر والتقسيم ، والمناسبة والاخالة والشبه، والطرد والعكس .

ثم انتقل الي بيان جواز التعبد بالقياس عقلا . وذكر ما فيه من خلاف الشيعة والنظام وبعض المعتزلة . وذكر ان اكثر المجوزين قائلون بالوقوع خلافا

لداود وابنه ، والقاشاني والنهرواني . وأتبع ذلك بالكلام على دفع العلل المؤثرة وانه لا يصح إلا بالممانعة والمعارضة ولا وجه للمناقضة لظهور الأثر بالكتاب والسنة ثم ذكر أنواع الممانعة وأنواع المعارضة . وذكر وجوه دفع العلل الطردية .

ثم انتقل إلى تقسيم الأحكام ومتعلقاتها : من السبب والعلة والشرط . فقال : أما الأحكام فمنها خالص حق لله تعالى عبادات محضة ومنها خالص حق العبد ، وهو كثير ومنها ما غلب فيه حق الله كحد القذف . ومنها ما غلب فيه حق العبد كالقصاص . وذكر بعد ذلك تعريف السبب وتقسيمه وتقسيم العلة ، وتقسيم الشرط .

ثم قال : ومن الأصوليين من ألحق بهذه الأدلة الشرعية دليلا سماه الاستدلال وعرفه : بأنه دليل ليس بنص ولا إجماع ، ولا قياس علة . ومن ذلك التلازم بين حكمين بأنواعه :

ثم بحث شرع من قبلنا ، ومذهب الصحابي وذكر المذاهب فيهما .

وأما القاعدة الثالثة : ففي الاجتهاد وما يتبعه ، وهنا عرف الاجتهاد وذكر الخلاف في جواز اجتهاد النبي ﷺ وأنه ليس كل مجتهد في العقليات مصيبا ولا اثم على مجتهد في حكم شرعي اجتهادي ، وذكر خلاف بشر والأصم في ذلك . . إلى غير ذلك من المسائل المتعلقة بالاجتهاد .

ثم عرَّج على التقليد فعرفه وبين من يجوز له التقليد وفيما يجوز وفيما يمتنع . وهل يجوز خلو العصر عن مجتهد وهل لغير المجتهد أن يفتي بقول المجتهد . . الخ .

والقاعدة الرابعة في الترجيح . وأنه بعد التعارض ولا تعارض بالحقيقة في حجج الشرع ، ولكن قد يتصور به فلذلك يجب دفعه ما أمكن . ثم ذكر وجوه دفع التعارض .

وعرج على الترجيح وبين أنه يكون بقوة الأثر ، وقوة الثبات على الحكم ، وكثرة الأصول . . .

وختم الكتاب بقوله : فصل : ترجيح القياس بمثله فاسد ، لانفراده بالعلية ، وبغلبة الأشباه كقولهم : الأخ يشبه الولد بالمحرمية ، وابن العم بسائر الوجوه ، كوضع الزكاة وحل الحليله وقبول الشهادة ووجوب القصاص ، فكان أولى . .

وبعد ، فهذه رؤوس أقلام ، لأهم مباحث هذا الكتاب ، وضعتها لأعطي الباحث فكرة مقتضبة سريعة عما ورد في هذا المصنف وكيفية ترتيب مؤلفه لمباحثه ، وطريقته في عرض المعلومات . وهي لا تغني بأي حال عن الرجوع إلى الكتاب ، ففيه ما لذ وطاب ، ولكنها تعطي صورة عن الهيكل العام لهذا المصنف .

ومما يلاحظ على مصنف هذا الكتاب :

١ ـ أنه بحث العام والخاص ، والمطلق والمجمل ، في المبادىء اللغوية بشكل مقتضب ثم بحثها مرة ثانية في القاعدة الثانية عند الكلام على « ما تشترك فيه الأدلة الثلاثة من دلالة المنطوق » بشكل موسع .

٢ ـ وكذلك فعل في السبب والشرط ، حيث بحثهما عند الكلام على الأحكام الثابتة بخطاب الوضع . ثم أعاد بحثهما عند الكلام على متعلقات الأحكام : من السبب والشرط والعلة والعلامة .

٣ ـ وتكرر منه مثل هذا في مواضع من مصنفه ، ومن ذلك : الأمثلة الفروعية التي يوردها فهو يكررها كثيرا .

ويمكن أن يجاب بما يلي :

أما الأول : فلا جواب عندي عليه ، إلا أن يقال : أنه لاحظ أن دلالة هذه الألفاظ لغوية ، فبحث جانبها اللغوي في باب اللغة بما يناسب المقام . ثم بسط القول فيها في موضعها الصحيح ، وهو ما تشترك فيه الأدلة الثلاثة .

وعلى أي حال هذا غير مستساغ لما فيه من التكرار الذي يمكن الاستغناء عنه . لأن في الإمكان تعريف تلك الألفاظ لغة واصطلاحا وبيان أحكامها في موضع واحد ، وقد فعله المصنف مرات . وفي ظني أنه لو تمكن من تبييض كتابه لما أقر ذلك التكرار ، ولعل العذر له انه لم يتمكن من تبييض مسودته حيث عاجلته المنية ، والمسودات عادة يكون فيها الزيادة والنقص .

وأما الثاني : فالعذر فيه واضح ، وذلك أن المقام يتطلب بحثهما في الموضعين . ففي الأحكام الثابتة بخطاب الوضع لا بد من ذكر السبب والشرط ، لأن الأحكام تعرف بهما ، وتتوقف عليهما فالدلوك سبب لوجوب الصلاة ، والطهارة شرط لأدائها . ولله في كل واقعة عرف حكمها بالسبب ، حكمان : نفس الحكم ، والسببية المحكوم بها على الوصف المعرّف له .

وفي متعلقات الأحكام ذكرهما لما لهما من العلاقة بالعلة التي تناط بها الأحكام . فالسبب : منه حقيقي وهو ما يتخلل بينه وبين الحكم عِلّيه . كدلالة السارق . ومنه مجازي : كالتعليقات عند الحنفية . ومنه ما هو في معنى العلة كسوق الدابة ، وقودها ، إذا تلف به شيء .

وكذا الشرط : منه محض وهو ما يتوقف وجود العلة على وجوده ، كالتعليقات ، ومنه ما هو في حكم العلة وهو ما سلم من معارضتها . .

وأما الثالث : فلاجواب عندي عليه .

ثانيا : نسخ بديع النظام التي عثرت عليها : وأماكن وجودها مع وصف شامل يبين حالة كل نسخة .

اشتهر هذا المصنف النفيس بين علماء الحنفية والشافعية ، في مختلف العصور الماضية ، فتسابقوا على اقتنائه وراح كل يَسْتَنسخُ منه نسخة ، وتناولوه

بالدراسة والتحليل والشرح والتعليق ، وطار ذكره في الأمصار فانتشرت نسخة في بقاع المعمورة حتى فاقت الحصر . وما ذاك إلا لأهمية هذا المصنف ومنزلته الرفيعة عند العلماء .

وقد عثرت على كثير من نسخ هذا المخطوط في رحلتي إلى مصر وتركيا وحصلت على نسخ أصولها في شستربتي وبرنستن ، فاجتمع لدي عدد لا بأس به من نسخ هذا الكتاب ، إليك قائمة بأسمائها ، مع وصف عام لحالة كل نسخة :

١ ـ نسخة دار الكتب المصرية رقم ١٣٩ أصول فقه .

وهي مسودة المصنف بخطه بدأها بقوله : « الخير دأبك اللهم يا واجب الوجود ، والفيض شعارك يا واسع الرحمة والجود . أنت الذي لا ينقص فيضك العطاء ، وكلتا يديك بالخير سخاء » .

وختمها بقوله : « تم الكتاب ولحمد لله أولا وآخرا ، وظاهرا وباطنا ، وصلواته على خيرته من خلقه ، محمد النبي الأمي ، وآله وأصحابه الطاهرين فرغت هذه المسودة في شهر المحرم من سنة أربع وتسعين وستمائة من يد مؤلفها : أحمد بن علي بن تغلب ابن الساعاتي ، المدرس للحنفية بالمدرسة المستنصرية رحمة الله على منشئها ، وهو يسأل الله تعالى أن ينفع به المحصلين ، ويوقع له القبول في أنفس الطالبين ويلحق مؤلفه بالعلماء الراسخين ، ويثيبه ثواب المجتهدين ، بمحمد وآله الطاهرين .

وقد تأكد لدي بما لا يدع مجالا للشك أنها نسخة المصنف بخطه ، وأنها لاتزال مسودة ولم يتمكن من تبييضها لأنه الفها في آخر أيام حياته ، حيث لم يعش بعدها إلا ثلاثة أشهر وبضعة أيام كما تقرر سابقا .

ومما يدل على ذلك كلامه في آخر النسخة ـ المشار اليه فيما تقدم ـ وكثرة الشطب والخرجات الجانبية . وكان يختم كل خرجه بقوله « صح » .

كما أن أخت المصنف ـ وهي أقرب الناس اليه ـ شهدت بأنها نسخته بخطه ، ونقلت نسختها عنها وأثبتت ذلك في آخرها .

ويوجد دلائل أخرى ستعلم في أماكنها إن شاء الله .

حالة النسخة :

حالة هذه النسخة جيدة فأوراقها سليمة ، وخطها مقروء ، وتقع في مجلد متوسط عدد صفحاته مائة وأربعين . وصفحاته من القطع الكبير . وهو كامل وسالم من الخدوش . وقد اتخذت هذه النسخة أصلا في تحقيق هذا المخطوط ، فأثبَتُّ ما فيها وقارنته بغيره من النسخ التي اعتمدت عليها في التحقيق .

٢ ـ نسخة أخت المصنف ـ أمة العزيز ـ

أصلها موجود في مكتبة داماد ابراهيم باشا بالسليمانية برقم ٤٣٥ . وهي بخط مالكتها نقلتها عن نسخة المصنف . وتقع في مجلد كبير ، عدد أوراقه ٢٢٩ ورقة ، وفي الصفحة ١٣ سطرا تقريبا . وقد كتبت بخط نسخي واضح جدا ، وأوراقها نظيفة نوعا ما . ويوجد بها خروم من آكل الأرضة لكنها لم تصب الكتابة بأذى .

وقد كتب في آخر هذه النسخة : تم الكتاب والحمد لله أولا وأخرا ، وظاهرا وباطنا وصلواته على خيرته من خلقه محمد النبي الأمي وآله وأصحابه الطاهرين وذلك على يد المفتقرة إلي الله تعالى ، أمة العزيز ، أخت مؤلفه لأبويه ، من خط مؤلفه ، في شهور سنة إحدى عشرة وسبعمائة .

وكتب في هامش الصفحة الأخيرة : بلغ بالأصل ، فصحَّ ولله الحمد . وهذا دأبها في جميع هذا الكتاب ، فبعد كل مجموعة من الصفحات تكتب : بلغ مقابلة بالأصل ، فصح ولله الحمد .

وهذا يدل على دقة الناسخة ، وحرصها على أن يكون الفرع طبق الأصل تماما . وقد حصل لها ما أرادت ، حيث ظهر من مقابلتي له أنه نسخة طبق الأصل ، لا تفترق عنها إلا في كلمات قليلة ، نتيجة سهو أو خطأ املائي ونحوه .

ومما يؤكد أنها منقولة عن نسخة المصنف :

الديباجة التي ختمت بها ، فهي نفس ديباجة المصنف التي ختم بها كتابه .

ويؤكد ذلك : ما جاء في حاشية اللوحة ٦٠ منها ، حيث كتبت : بخط المصنف رحمه الله في الحاشية « صوابه : فإن قوله : لا يتعلق بالفاعل ، هو المتنازع » .

وبالرجوع إلى نسخة المصنف في نفس الموضع ، وجدت الأمر كما ذكرت ، وبالحاشية .

وقد تكررت منها النسبة إلى أماكن من نسخة المصنف ، وكلما رجعت وجدت الأمر كما ذكرت .

وقد اعتمدت على هذه النسخة أثناء التحقيق وجعلتها نسخة ثانية ورمزت لها بـ « أ» ولدى صورة منها مصورة على ورق لماع .

٣ ـ نسخة مكتبة جامعة برنستن رقم ١٧٧٠ .

كتب على ورقة جديدة الصقت بأولها : نهاية الوصول إلى علم الأصول ، لفخر الدين الرازي . وهو خطأ مؤكد ناتج عن جهل بمحتوى المخطوطة ، فنصها يؤكد أنها لا تكون إلا لمظفر الدين ابن الساعاتي .

وأولها : الخير دأبك اللهم يا واجب الوجود ، والفيض شعارك يا واسع الرحمة والجود ، أنت الذي لا ينقص فيضك العطاء ، وكلتا يديك بالخير سخاء . . الخ .

وتقع هذه النسخة في مجلد كبير عدد أوراقه ١٧٨ ورقة . وقد نسخت بخط نسخي واضح في سنة ٧٧٢هـ . وهي كاملة وسالمة من العيوب .

ويوجد على الورقات الأولى تعليقات كثيرة جدا .

وآخرها : ترجيح القياس بمثله فاسد ، لانفراده بالعلية ، وبغلبة الأشباه كقولهم : الأخ يشبه الولد بالمحرمية ، وابن العم بساير الوجوه ، كوضع الزكاة وحل الحليلة . . الخ ثم قال : والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمدوآله أجمعين . في سلخ جمادى الأولى سنة ٧٧٢ هـ حامدا الله ومصليا على نبيه محمد صلي الله عليه وسلم، ولم يذكر اسم الناسخ .

ولدي نسخة مصورة عن هذه النسخة على ورق ، وقد اتخذتها نسخة ثالثة في التحقيق ، نظرا لوضوحها وسلامتها مما يشينها وَتَقَدُّمْ تاريخ نسخها ، ورمزت لها بـ « ب » .

٤ ـ نسخة كتبخانة ولي الدين جار الله رقم ٥٦٥ باستنبول بعنوان : « نهاية الوصول إلى علم الأصول ، تأليف الشيخ الإمام مظفر الدين أحمد بن علي ابن تغلب بن الساعاتي . ثم كتب بجانبه : نسخت هذه النسخة من نسخة المولف بخطه .

وكتب تحته : لكن اشتهر هذا بكتاب البديع لابن الساعاتي وهو المفهوم من ديباجة الكتاب صريحا . ولهذا اشتهر به في الشام ومصر والروم والهند وغربا .

وشرحه سراج الهندي وابن الهمام المصري وغيرهما . وشرحه ابن أمير الحاج التبريزي وأبو عبد الله ولي الدين جار الله .

وأولها : بسم الله الرحمن الرحيم : الخير دأبك اللهم يا واجب الوجود . . الخ . وآخرها : ترجيح القياس بمثله فاسد لانفراده بالعلية ، وبغلبة الأشباه كقولهم : الأخ يشبه الولد بالمحرميه وابن العم بساير الوجوه . . . وقع الفراغ من تنميقه ، بعون الله وتوفيقه ضحوة يوم السبت ، الخامس من شهر الله

المبارك شعبان الواقع من شهور سنة ٧٣٤ على يدي العبد الضعيف اللهيف محمدبن الحسين بن اللحاح محمدشاه النوساباني ، في المدرسة المستنصرية المؤسسة بمدينة السلام ، رحيم الله بانيها ، وأحسن عواقب قاطنيها بمحمد سيد السادات والد أهل الكرامات .

ثم كتب : قوبل بخط المصنف وصحح بقدرالوسع .

قلت : وهو كذلك ، فقد اتضح من المقابلة أنها منقولة عن نسخة المصنف .

وصف النسخة :

تقع هذه النسخة في مجلد متوسط الحجم عدد أوراقه ١٤٥ ورقة وبالورقة ١٧ سطرا وبالسطر ١٤ كلمة ، والخط نسخي واضح وحالة النسخة العامة حسنة ، ويوجد بها خروم كثيرة من الأرضة كلها لم تصب الكتابة بأذى . وقد اتخذت هذه النسخة أصلا رابعا ، نظرا لوضوح خطها وكمالها وسلامتها مما يشينها ، وقدمها . وقد رمزت لها بـ « جـ » وقابلت عليها .

٥ ـ نسخة كتبخانة أياصوفيا بعنوان «كتاب البديع في أصول الفقه» ورقمها ٩٤٨.

وكتب في صفحة العنوان : « قد وقف هذه النسخة الجليلة سلطاننا الأعظم والخاخان المعظم ، مالك البرين والبحرين ، خادم الحرمين الشريفين ، السلطان ابن السلطان الغازي محمود خان ، وقفا صحيحا شرعيا لمن طالع وأملى ، أكرمه الله تعالى بالزلفى والحسنى . حرره العبد الفقير أحمد شيخ زاده المفتش بأوقاف الحرمين الشريفين غفر لهما » .

وأول النسخة : الخير دأبك اللهم يا واجب الوجود . . . الخ وكتب في آخرها مانصه : « وقد تم الكتاب بعون الله العزيز الوهاب ووافق الفراغ منه يوم الاثنين السابع عشر من شهر جمادى الأولى عام ستين وثمانمائة ، وعلقه لنفسه العبد الفقير الراجي عفو ربه عبد الرزاق يوسف الحنفي .

وفي الصفحة الأخيرة كتب : « الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه وبعد ، فقد قرأ العبد الفقير عبدالرزاق كاتبه جميع هذا الكتاب مع شرحه جميعه للشيخ شمس الدين محمود الأصبهاني رحمهما الله على سيدي وشيخي وقدوتي إلى الله تعالى الشيخ أبي العباس أحمد بن الشيخ رضا الدين عبد الغني السرسي الحنفي رضي الله عنه . وأجاز لي اقراءه وجميع ما قرأته عليه وعلى غيره من السادة المشايخ من فقه وأصول وعلم كلام ومنطق ونحو وتصريف ومعاني وبيان وبديع . وأذن في الإقراء بحضرته أيضا رضي الله عنه . وذلك في آخر شهور سنة ستين وثمانمائة . صحح ذلك وكتبه أبو العباس أحمدالحنفي السرسي .

وصف النسخة :

حالتها جيدة وخطها مقروء وعدد أوراقها ٨٨ ورقة من الحجم المتوسط وبالورقة ٢١ سطرا وبالسطر ٢١ كلمة والنسخة كاملة ولدي صورة منها .

٦ ـ نسخة كتب خانة لاله لي رقم ٦٨٦ .

وعنوانها : بديع النظام الجامع بين كتابي البزدوي والأحكام لابن الساعاتي البغدادي الحنفي .

وكتب تحته : شرحه جماعة من الحنفية والشافعية . وذكر سبعة من شراحه وتواريخ وفاتهم .

وكتب في آخرها : تم الكتاب بعون الملك التواب وهو أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب .

وقع الفراغ من تحريره ليلة الثلاثاء التاسع من ربيع الآخر من شهور سنة إحدى وسبعمائة بالمدرسةالموفقية بدمشق المحروسة من الله تعالى على يد أضعف الناس يحى بن الياس القونوي أصلح الله شأنه .

وصف النسخة :

حالتها جيدة وهي كاملة وعلى أوراقها تعليقات كثيرة جدا وتقع في مجلد عدد أوراقه ١٣٢ ورقة وتشتمل الصفحة على ١٩ سطرا وبالسطر ١١ كلمة والخط نسخي صغير مقروء بصعوبة . ولدي صورة من هذه النسخة .

٧ ـ نسخة كتبخانة شهيد علي باشا بالسليمانية رقم ٦٠٣ .

وعنوانها : كتاب البديع في الأصول لتاج الفقهاء والأصوليين مظفر الدين أبي العباس أحمد بن علي بن تغلب ابن الساعاتي .

والكتاب يقع في مجلد كبير عدد أوراقه ٢٦٢ ورقة وتشتمل الصفحة على ١٥ سطرا وبالسطر ٨ كلمات ، وخطه نسخي واضح جدا وحروفه كبيرة والعناوين كتبت كلها بالخط الأحمر بشكل بارز .

ويوجد على بعض الصفحات تعليقات خفيفة .

والكتاب كامل . والناسخ هو محمد بن عيسى بن علي القرشي المعروف بالمالكي ، وقد فرغ من نسخه في خامس عشر شوال سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة . ويوجد لدي صورة منه .

٨ ـ نسخة كتبخانة شهيد علي باشا رقم ٦٠٢ .

وقد كتب على الصفحة الأولى منها : كتاب البديع في أصول الفقه لمظفر الدين ابن الساعاتي توفي في جمادى الأولى سنة أربع وتسعين وستمائة .

ويوجد عليها عدة تمليكات ، آخرها سنة ١٠٠١ هـ ، وعليها تعليقات كثيرة جدا ، من أولها إلى آخرها . وخطها نسخي واضح إلا ما اختلطت به التعليقات فقد أدت إلى بعض الغموض . ويقع في مجلد كبير عدد أوراقه ٢١٦ ورقة من الحجم المتوسط وبالصفحة ١٥ سطرا وبالسطر ٩ كلمات والنسخة سليمة وكاملة ولم يذكر تاريخ نسخها .

٩ ـ نسخة كتبخانة شهيد علي باشا رقم ٦٠١ .

بعنوان : البديع لابن الساعاتي .

نسخت سنة ٩٧٣هـ وتقع في مجلد متوسط الحجم وأوراقها نظيفة جدا ، وقد وضعت في جلد مزخرف أنيق .

وعدد أوراقها ١٥٠ ورقة وبالصفحة ١٩ سطرا ، وبالسطر ٩ كلمات والخط نسخي جميل جدا يبدو وكأنه مطبعة ، ويوجد في آخر كل صفحة تعقيبه للصفحة التي تليها . ولدي صورة منها .

١٠ ـ نسخة كتبخانة بشير آغا بالسليمانية رقم ١٨٦ .

عنوانها : بديع النظام في أصول الفقه لمظفر الدين ابن الساعاتي ت ٦٩٤هـ تم نسخها في يوم السبت وقت المغرب في العشر الآخر من جمادى الأولى سنة ٧٤٤هـ ولم يذكر اسم الناسخ .

تقع هذه النسخة في مجلد مزخرف عدد أوراقه ١٥٧ ورقة وبالصفحة ٢١ سطرا وبالسطر ١٣ كلمة وخطه مقروء وبه ما لا يقل عن عشر صفحات مطموسة سوداء ، كما يوجد سطور في بعض الصفحات لا تقرأ .

ويوجد على الصفحة الأولى منه سماعات للشيخ فخر الدين الياس على شيخه علي بن محمد القونوي وذلك في عاشر محرم سنة ست وأربعين وسبعمائة .

١١ ـ نسخة كتبخانة بغدادي وهبي افندي بالسليمانية رقم ٣٧٦ .

عنوانها : كتاب البديع في الأصول .

ناسخه هو عمر بن سليمان ، وقد فرغ من نسخه في منتصف رجب سنة ٧٥٤هـ . وقد كتب على صفحة العنوان كلام غير محرر فيه خلط ، حيث تخبط في اسم المصنف ابن الساعاتي ، فلا يؤبه به لأن الكتاب هو كتاب ابن الساعاتي محتوا وموضوعا ، إذ لا يختلف محتواه عن بقية النسخ الثابتة المتقدمة الذكر .

وصف الكتاب :

يقع في مجلد واحد حالته جيدة ، وعد دأوراقه ١١٥ ورقة والخط نسخي مقروء ، ويوجد تعليقات كثيرة على أكثر الصفحات .

١٢ ـ نسخة كتبخانة عاطف أفندي باستبول برقم ٦٥٦ .

وعنوانها : « بديع النظام في أصول الفقه » لابن الساعاتي .

تقع في مجلد عدد أوراقه ١٣٤ ورقة ويوجد عليه تعليقات كثيرة جدا إلى منتصف الكتاب ، وأوراقه نظيفة نوعا ما . وخطه نسخي جميل ، وقد كتبت العناوين بخط كبير بارز . والنسخة كاملة وخالية من العيوب ولم يذكر اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ .

١٣ ـ نسخة شستربتي رقم ٥٠٣٤ .

تقع في مجلد عدد أوراقه ١٣٠ ورقة وخطها نسخي واضح ويوجد على بعض صفحاتها تعليقات وهي كاملة وقد وقع الفراغ من نسخها في سنة ٧٢٢ هـ . ولدي صورة منها .

١٤ ـ نسخة شستربتي رقم ٣٦٤٧ .

بعنوان جانبي : « كتاب البديع في الأصول » وكتب تحته عنوان كبير « نهاية الوصول إلى علم الأصول » للشيخ علي ابن الساعاتي البغدادي .

والنسخة كاملة وسليمة وتقع في مجلد عدد أوراقه ١٤٧ ورقة وبالصفحة ١٩ سطرا وبالسطر ١٠ كلمات وخطها نسخي مقروء .

وقد فرغ من نسخها في يوم الأحد سابع عشر ذي الحجة ، سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة . والناسخ هو : حاجي حاجلة بن أحمد الكاتب التوماني ولدي نسخة منها .

١٥ ـ نسخة مكتبة جامعة برنستن « مجموعة يهودا » برقم ٨٩٣ .

تقع في مجلد واحد عدد أوراقه ٨١ ورقة من الحجم الكبير ويوجد على الصفحات الأولى منها تعليقات كثيرة جدا بخط صغير جدا وخطها نسخي مقروء

وقد كتب في آخرها : وقع فراغ كتابة كتاب البديع بيد عثمان بن طوره فقيه ابن الحاجات في ليلة الأحد من غرة جمادى الأولى في سنة ٧٦٠ هـ

والحمد لله على تمامه أولا وآخرا . ولدي نسخة منها .

١٦ ـ نسخة معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية وهي صورة عن الأصل الموجود في أمانة خزينة توب قابي باستنبول تحت رقم ٧١٠ .

وتقع في مجلد واحدعدد أوراقه ١٥٠ ورقة بخط نسخي نفيس ناسخه هو محمد بن عبد الله الحنفي الحموي بدمشق مدرسة التعليمية عن نسخة نقلت من نسخة المولف ، وكان الفراغ من نسخها يوم الجمعة سابع عشر صفر المبارك من شهور سنة ٧٤٠ هـ .

والخط جيد جدا ، غير أن بعض الصفحات قاتمة ، ويوجد تعليقات على الورقة الأولى .

١٧ ـ نسخة استنبول رقم ٢٠٤٤.

وتقع في مجلد واحد عدد أوراقه ١١٤ ورقة وخطها نسخي مقروء . والنسخة كاملة وسليمة وقد كتب في آخرها : تم الكتاب وفرغ من نسخه يوم الثلاثاء المبارك الثامن عشر من شهر جمادى الآخر ، ولم يذكر السنة . ولدي نسخة منها .

١٨ ـ نسخة معهد المخطوطات ، مصورة على ميكروفلم عن الأصل الموجود في مكتبة أحمد الثالث تحت رقم ١٢٤١ .

والخط بقلم نسخ نفيس ، والتصوير سيء جدا وتاريخ النسخ هو سنة ٧٧٠ هـ وقد رأيت الأصل أثناء رحلتي إلى استنبول بنفس الرقم المذكور أعلاه .

١٩ ـ نسخة كتبخانة الخديوية رقم ٢٠٢٢ .

بعنوان « بديع النظام الجامع بين كتابي البزدوي والأحكام للشيخ الإمام المظفر أحمد بن علي بن تغلب المعروف بابن الساعاتي البغدادي الحنفي المتوفى سنة ٦٩٤ هـ » .

وتقع في مجلد بقلم عادي بخط موسى السلمي فرغ منها في ثامن شوال سنة ٨١٥هـ وعدد أوراقها ١٥٣ ورقة وهي كاملة ولكن بأوراقها خروم على أثر أرضة اصابتها ، خاصة في آخرها .

٢٠ ـ نسخة أخرى في المكتبة المذكورة برقم ٢٠٢٣ في مجلد بقلم عادي

بها تقييدات كثيرة وطيارات . وعدد أوراقها ١٦٦ ورقة ولا يعرف ناسخها ولا تاريخ نسخها .

٢١ ـ نسخة أخرى بقلم نسخ جميل جدا تمت كتابتها في آخر يوم من جمادى الأولى سنة ١٢٦٤ هـ تحت رقم ٢٠٢٤ وهي كاملة وأوراقها سليمة وعددها ١٣١ ورقة وقد صورتها على ورق وموجودة عندي .

٢٢ ـ نسخة أخرى منه في مجلد برقم ٧٠١٦ عدد أوراقها ١٧١ ورقة وخطها جيد وبها تعليقات كثيرة جدا وقد كتب في أول صفحة : « كتاب البديع من الأصول » وذكر اسم المؤلف ابن الساعاتي ولم يذكر الناسخ ولا تاريخ النسخ . وقد رأيتها على فلم .

٢٣ ـ نسخة أخرى برقم ٧ وعدد أوراقها ١٩٥ ورقة من الحجم الصغير ، وخطها واضح جدا وبها تقييدات كثيرة ، وبعض صفحاتها مسودة على أثر ماء أصابها ، ولكنها مقروءة ولم يذكر اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ ولدى صورة منها على ورق .

وقد ذكرتُ هذا العدد لاعلى سبيل الاستقصاء ـ فنسخه أكثر من هذا بكثير ، ولكن لتعرف أهمية هذا المصنف من خلال اهتمام العلماء به .

ثالثا : مكانته في الأوساط العلمية :

أظن أنني لم أعد بحاجة إلى مزيد من بيان عن مكانة بديع النظام في الأوساط العلمية . فقد اتضح مقدار اهتمام العلماء به من حرصهم على اقتنائه وعكوفهم على دراسته وتدريسه . والرجوع اليه والأخذ عنه .

ومما يزيد ذلك ايضاحا : كثرة من تناوله بالشرح والتعليق في مختلف العصور الماضية من أصحاب المذهبين : الحنفي والشافعي .

ومن شروحه :

١ ـ شرح بديع النظام ، لحسن بن شرف التبريزي المتوفى في سنة ٧٧٠هـ يقع في مجلد كبير عدد أوراقه ٢٧٤ ورقة ، وخطه نسخي واضح جدا ، وهو ناقص من الآخر ، واصله موجود بمكتبة جامعة برنستن تحت قرم ٩٩٤ مجموعة يهودا .

وأوله : الحمد لله الرحيم الرحمن ، الكريم الممنان الذي نزل القرآن وخلق الانسان . . الخ .

ولدى صورة من هذه النسخة وقد اعتمدت عليها أثناء المقابلة والتحقيق ، واستفدت منها فائدة لا تنكر .

٢ ـ بيان معاني البديع لشمس الدين محمود بن عبد الرحمن الأصفهاني ، المتفوى سنة ٧٤٩ هـ . موجود بدار الكتب المصرية برقم ١٤ أصول فقه . وهو مخروم من الأول ، والموجود منه يقع في مجلد كبير ، عدد أوراقه ٢٧١ ورقة وخطه ردىء وقد انتهى من نسخه في سنة ٧٣٣هـ . ولدي صورة منه وقد استفدت منه أثناء التحقيق .

٣ ـ نسخة أخرى من شرح الأصفهاني بكتبخانة ولي الدني بتركيا برقم ٩٥٣ تقع في ٧٦٢ صفحة في مجلد واحد بخط نسخي مقروء .

٤ ـ الرفيع في شرح البديع لابن أمير الحاج موسى بن محمد التبريزي الحنفي المتوفى سنة ٧٣٦هـ .

٥ ـ شرح البديع ، لعثمان بن عبد الملك الكردي المصري الحنفي المتوفى سنة٧٣٨هـ.

٦ ـ شرح البديع لزين الدين علي بن حسين المعروف بابن الشيخ عويضه الموصلي الشافعي المتوفى سنة ٧٥٥ هـ .

٧ ـ كاشف معاني البديع ، وبيان مشكله المنبع .

للشيخ العلامة سراج الدين أبي حفص عمر بن إسحاق الهندي الحنفي المتوفى سنة ٧٧٣هـ وهو شرح بالقول في أربعة مجلدات .

٨ ـ شرح البديع للعلامة كمال الدين محمد بن عبد الواحد بن الهمام الحنفي المتوفى سنة ٨٦١ هـ .

٩ ـ شرح البديع للشيخ المعروف بابن خطيب جبرين الحلبي المتوفى سنة ٧٣٩ هـ .

ومن الحواشي على البديع : حاشية محب الدين محمد بن أحمد المعروف بمولانا زاده الحنفي المتوفى سنة ٨٥٩ هـ .

أما التعليقات على البديع فأكثر من أن تحصى ، فكل نسخه التي مرت معنا آنفا مليئة صحائفها بالتعليقات ، وقد أشرت إلى ذلك فيما تقدم .